الدخيـــــــل

في تفسير قصة أصحاب الكهف

إعداد /

د . محمد السيد محمد يوسف

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بالديدامون

من ٩٩٥ إلى ١٠٧٢

المقدمـــــة

وتشتمـل على :

- الاستفتـــــــــاح
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره
- منهـج البحث وخطة الدراسة فيـه

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الألباب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة حق لا يشوبها ارتياب . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، المبعوث إلى خير أمة بأشرف كتاب. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله ، وارض اللهم عن أصحابه وأتباعه ، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين .

أما بعـــــــــــــــد

فالقرآن الكريم نعمة الله السابغة على عباده ، وحجته على خلقه ، أنزله الله تعالى ليقيم به الدين والدنيا ، ويصلح به الإنس والجن ، ويسعد به الأولين والآخرين.

ولقد أودعه الله تعالى من كنوز العطاء ما جعله جديرا بقيادة البشرية ووافيا بالحاجات الإنسانية ، الآتية والمستقبلية .

ولقد هيأ الله تعالى لهذا الكتاب الكريم رجالا اختارهم بحكمته ، واصطفاهم من خلقه، وصنعهم على عينه ، شمروا عن سواعد الجد ، وأقبلوا على كتاب ربهم ، تلاوة ، ودراسة ، علما ، وعملا ، وتعليما ؛ فرفع الله قدرهم ، وأحيا ذكرهم. ولا زال المؤمنون الصادقون من هذه الأمة يتعاقبون هذا الشرف سلفا عن خلف.

ولم يشهد التاريخ البشري كتابا حظي بمثل ما حظي به القرآن الكريم من الحب والاهتمام والدراسة والبحث والتأليف . والذي يراجع المكتبات ، ويطالع المجلدات التي سطرت في العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم ، في القديم والحديث ، يجد ما ينشرح به صدره ، وتقر به عينه . ولله تعالى الحمد والمنة .

ومن أشرف العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم ، علم التفسير ؛ فهو أصل كل علم ، وغاية كل متعلم . وقد بذل المفسرون ـ جزاهم الله خيرا ـ جهدا مشكورا في خدمة كتاب ربهم ، والعناية به ؛ حتى قدموه للناس في أبهى حلة ، وأجمل صورة .

ولكن يشاء الله تعالى ألا يحصل الكمال إلا له ولكتابه ، ولا تكون العصمة إلا لرسله وأنبيائه ؛ فجاءت تفاسير القرآن الكريم على رغم ما فيها من خير عميم ، وعلم وافر ، وجهد عظيم .. جاءت مشوبة بالدخيل ، في تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، خاصة فيما يتعلق بقصص الأنبياء والسابقين .

وكان لهذا الدخيل أثره السيىء ، وضرره البالغ على سمعة التراث العلمي الذي تركه أسلافنا ، ومضى على دربه علماؤنا .

يقول الشيخ / محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ : " لقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار ، التي ليس لها سند صحيح ، وأغدقوا من شرها على الناس ، وعلى القرآن الكريم . وكان جديرا بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سدا ، يقيهم البلبلة الفكرية ، فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، ولم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه . وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها ؛ فما أشد أثرها في إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن الكريم ، من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال . "(١)

هذا ، ولقد شرح الله تعالى صدري ، ووجه همتي للكتابة في موضوع :

(الدخيل في تفسير قصة أصحاب الكهف)

وكان الدافع ـ بعد إرادة الله تعالى وتوفيقه ـ لاختيار هذا الموضوع سببان رئيسان .

السبب الأول : يتعلق بسورة الكهف ، فهي سورة محببة إلى النفوس ؛ لما لها من الفضل والأجر ، ولما ورد من استحباب قراءتها يوم الجمعة ، وأن المداومة على

---

(١) الفتاوي ، ص ٥٦ وما بعدها

قراءة آيات من أولها وآخرها يقـــي ــ بإذن الله تعالـــــى ــ من فتنة الدجـــــــال.

ومن الأحاديث الصحيحة في ذلك مايلي :

ـــ عن أبى سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ، كانت له نورا يوم القيامة ، من مقامه إلى مكة . ومن قرأعشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه ...(١)

ـــ عن أبي الدرداء ــ رضي الله تعالى عنه ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال . (٢)

ـــ عن علي ــ رضي الله عنه ــ مرفوعا : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية من كل فتنة ، وإن خرج الدجال عُصم منه . (٣)

السبب الثاني : يتعلق بمجال (الدخيل في التفسير) فهو مجال شيق ، ورحب. ويحتاج إلى جهود مخلصة ، وكبيرة ، ودائبة ، من المتخصصين في مجال التفسير والدراسات القرآنية ؛ لتنقية كتب التفسير ، وتطهيرها من كل ما دخل فيها ، من الأقوال والروايات التي لا نصيب لها من الصحة ؛ حتى يستطيع الناظر في كتب التفسير أن يفهم كلام الله سبحانه فهما صحيحا ، وبعيدا عن أكاذيب الرواة وخيالات القصاصين .

---

(١) أخرجه الحاكم في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضيلة قراءة سورة الكهف ١/ ٥٦٤ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . وأقره الذهبي

(٢) أخرجه الإمام مسلم .ك: المسافرين ، ب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/ ٥٥٥رقم ٨٠٩

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الكهف ٣/ ٧١، ونسبه للضياء المقدسي في المختارة بسنده عن علي مرفوعا . وذكره السيوطي في الدر المنثور في أول تفسير سورة الكهف ٤/ ٢٣٠. والحديث له شواهد صحيحة .

وكم كنت أعجب ، وأفزع ، حين أقرأ ــ في بعض كتب التفاسير ــ الروايات الغريبة ، والحكايات الملفقة ، والأخبار التي تقدح في عصمة الأنبياء وشرفهم ، وتتنافى مع الشرع ، والعقل ، والفطرة . وكنت أتساءل : كيف تسللت هذه الأساطير إلى كتب التفسير ؟ وكيف سمح هؤلاء المفسرون لأنفسهم أن يسودوا كتبهم بمثل هذا الغثاء ؟

فمثلا في تفسير قصة نبي الله يوسف ــ عليه السلام ــ تجد من يورد في تفسيره لقضية (الهم والبرهان) ما يقشعر له البدن ، وتشمئز منه النفس ؛ فيقول أحد المفسرين : إن يوسف عليه السلام حل سراويله ، وجلس منها مجلس المجامع ، بين شعبها الأربع ، وهي مستلقية على قفاها ! ويقول عن البرهان : أنه بدت له كف ، ليس لها عضد ولا عصم مكتوب فيها : (وإن عليكم لحافظين) فلم ينصرف ! فرأى فيها : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) فلم ينته ! ثم رأى فيها : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) فلم ينجع فيه ! فقال الله تعالى لجبريل : أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة ! فانحط جبريل وهو يقول : يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء ؟ وقيل : رأى تمثال العزيز ! وقيل : إنه سمع صوتا : إياك وإياها ، فلم يكترث له ! فسمعه ثانيا ، فلم يعمل به ! فسمع ثالثا : أعرِض عنها ، فلم ينجعْ فيه ! ، حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته ! وقيل : ضرب يعقوب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله!([1])

وفي قصة أيوب ــ عليه لسلام ــ تجد من المفسرين من يقول : إنه ابتلي بالجذام في سائر بدنه ، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل ! وكان لا يستطيع أحد أن يدنو منه لنتن ريحه ! حتى عافه الجليس ، وأُفرد في ناحية من البلد ، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته ؛ كانت تقوم بأمره. ويقال : إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله ! قال الحسن وقتادة :

---

(١) بدع التفاسير ، ص ٧٠

ابتلي أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهرا ، ملقى على كناسة بني إسرائيل ، تختلف الدواب في جسده ! وقال السدي : تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام ، فكانت امرأته تقوم عليه ، وتأتيه بالرماد يكون فيه ! (١)

ومثل هذا تجده أيضا في الكلام عن : سفينة نوح ، وفتنة سليمان ، وميلاد نبى الله عيسى ، عليهم جميعا من الله الصلاة والسلام ، وقصة هاروت وماروت ، وقصة بقرة بني إسرائيل ،....وغير ذلك ، من قصص الأنبياء والسابقين .، باعتبار أن القصص مجال خصب للدخيل.

وكان لسورة الكهف نصيب كبير من هذا الدخيل الذي رواه المفسرون في كتبهم ، فهي سورة قصصية ؛ فقد ورد بها أربع قصص رئيسية لم تتكرر في غيرها ، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة الكريمة ، فهو وارد في إحدى وسبعين آية ، من عشر ومائة ، ومعظم ما تبقى من آيات هو في الغالب تعليق أو تعقيب على القصص الوارد فيها .

وقصة أصحاب الكهف هي أول قصة في السورة الكريمة ، وقد حوت في تفسيرها كما هائلا ، وركاما ضخما من الدخيل ، المكون من الإسرائيليات ، والقصص الأسطورية ، والحكايات ، مما تسبب في تشويش الرؤية على القاريء ، وإبعاده عن الهدف الأساسي الذي من أجله سيقت هذه القصة ، وهو العبرة والعظة .

فاستعنت بالله العظيم ، وأقدمت على البحث في هذا الموضوع ، راجيا من الله ـ جل شأنه ـ التوفيق والسداد .

(١) ابن كثير ٣/ ١٨٨ وما بعدها

منهج البحث وخطة الدراسة فيه :

ويتمثل منهجي في هذا البحث في إيراد كل جزئية من قصة أصحاب الكهف ، ثم بيان الدخيل فيها من أقوال المفسرين ، وإتباع ذلك بالرد والتعقيب على الروايات والأخبار الدخيلة ، ثم بيان التفسير الصحيح لها ، ملتزما الأدب مع أساتذتنا المفسرين ، ومجتنبا لمزهم أوانتقاصهم ، أو الحط من شأنهم ، فلم يكن قصدهم في الغالب سيئا وإنما هو الولع بالأخبار الغريبة ، والحكايات العجيبة . وقديما قالوا : لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة . وسبحان من له الكمال .

ويتكون هذا البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وثمانية مباحث ، وخاتمة .

اشتملت المقدمة على الاستفتاح ، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، وخطة الدراسة فيه . وأما التمهيد فيشتمل على العناصر التالية :

ا ــ تعريف الدخيل .

ب ــ نبذة مختصرة عن : خطرالدخيل ، وأسباب وجوده في كتب التفسير .

وأما المباحث فهي كالتالي :

المبحث الأول : الدخيل في منشأ قصة أصحاب الكهف ومبتدأ أمرهم .

المبحث الثاني : الدخيل في أسماء أصحاب الكهف .

المبحث الثالث : الدخيل في زمان أصحاب الكهف ومكانهم .

المبحث الرابع : الدخيل في معنى الرقيم .

المبحث الخامس : الدخيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾

المبحث السادس: الدخيل في اسم الكلب وصفته .

المبحث السابع : الدخيل في تفسير قوله تعالى :﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ .

المبحث الثامن : الدخيل في تحديد عدد أصحاب الكهف .

وأما الخاتمة : فتشتمل على خلاصة البحث ونتائجه ، والتوصيات ، والفهارس .

وأسأل الله جل شأنه أن يصحبني بعونه وتوفيقه في رحلة هذا البحث ، وأن لا يكلني إلى نفسي ، أو غيري طرفة عين ، ولا أقل من ذلك ، وأن يقيني شر زلات الفكر ، وهفوات القلم ، إنه سبحانه خير مأمول ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

* * * * * * * * * * *

التمهيـــد

ويشتمـــل علــى:

أ ــ تعريف الدخيل .

ب ــ نبذة مختصرة عن خطرالدخيل ، وأسباب وجوده في كتب التفسير

أ ــ تعريف الدخيل

قال صاحب القاموس المحيط في تعريف كلمة الدخيل : الدخيل كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه ، ودخل أمره أي فسد داخله ، وهو دخيل فيهم ، أي من غيرهم . والدِخْلة : تخليط ألوان في لون . والمدخول : المهزول ، ومن في عقله دخل ، أي فساد وخلل . (١)

وفي لسان العرب : فلان دخيل في بني فلان ، إذا كان من غيرهم (٢)

وجاء في المعجم الوسيط : الدخل : الفساد ، والعيب ، والداء ، والريبة . والدخل : القوم الذين يدخلون في قوم وينسبونم إليهم وليسوا منهم . والدخل : الداء الداخل في أعماق البدن (٣)

وهكذا نجد أن كلمة الدخيل في لغة العرب تدور حول المعاني الآتية :

١ــ العيب والفساد

٢ــ الضعف

٣ــ تداخل أمور في بعضها ليست من جنس متحد ، أو نسيج واحد

٤ــ الانتساب إلى غير الأصل .

---

(١) الفيروز آبادي ٣/ ٣٧٤ ، فصل الدال ، باب اللام

(٢) لسان العرب ، مادة دخ ل

(٣) مادة : دخ ل . ص : ٢٧٥

وأما تعريف الدخيل في التفسير ، فهو لا يبعد كثيرا عن إطلاقات اللغة ؛ إذ أن الأقوال الدخيلة في التفسير هي في الحقيقة أقوال فاسدة ، وروايات مريضة ، ومعيبة ، وتحوطها الريبة ، وهي منتسبة إلى شيء ليست من جنسه .

ونستطيع أن نستعين بالله تعالى فنقول إن الدخيل في التفسير هو :

(ما جاء في تفسير القرآن الكريم مخالفاً لظاهر النص القرآني ، أو منافراً لسياق الكلام ، أو مصادماً للدليل ، مما لا أصل له شرعاً ، ولا قبول له عقلاً ورأياً .)

ب ــ نبذة مختصرة عن خطر الدخيل ،

وأسباب وجوده في التفسير

الدخيل له خطره الكبير ، وشره المستطير على عقيدة الأمة الإسلامية ، وعلى الحقائق والتصورات العلمية، بل وعلى الشعائر التعبدية، والأخلاق السلوكية.

وليس من شك في أن وجود هذا الدخيل قد أضر إضرارا بالغا بالتراث العلمي بصفة عامة ، والتراث التفسيري بصفة خاصة ؛ " لا سيما أن كثيرا من الناس يكفيهم ــ على حسب زعمهم ــ لصحة القول، وإثبات الكلام وجوده في كتاب مطبوع ، أو تفسير منشور ، بغض النظر عن اتجاه صاحبه العقدي ، وميلانه الفكري ، ومنهجه التفسيري . " (١)

ويمكن أن نحدد أهم أخطار الدخيل في النقاط التالية :

- ترويج وتقوية الأحاديث الواهية والمكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم .
- ترويج أكاذيب أهل الكتاب ، الذين ليسوا موضعا للثقة ، أو الأمانة العلمية .
- الخوض في الدخيل يُخرج القرآن الكريم عن هدفه الأصيل ، ويبعد القارىء عن الجو القرآني ، وعن الهدف الأساسي الذي من أجله نزل القرآن الكريم وهو الهداية والاعتبار .
- تضييع الوقت والجهد ، وإشغال الفكر بما لا يعود بالنفع .

---

(١) أسباب الخطأ في التفسير ٢/ ٦١٧ بتصرف يسير .

- الدخيل سبب في انتشار البدع والخرافات بين أفراد الأمة .
- تشكيك الناس في مصداقية كتب التفسير .

وأما عن أسباب وجود الدخيل في التفسير فإنها كثيرة ، نشير إلى أهمها فيما يلي :

السبب الأول : الاعتماد على الأحاديث الموضوعة والضعيفة .

ولقد حُشيت كتب التفسير بكم كبير من الأحاديث الضعيفة والروايات الموضوعة ؛ سواء كانت منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة والتابعين . ويكفي أن نعلم أن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نسب إليه مئات الروايات في التفسير لم يصح عنه منها إلا ما يقارب المائة حديث . (١)

ومن الأمثلة على ذلك : ما أورده ابن كثير عند تفسير قول الله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ (٢)

فقد حكى عن ابن عباس ، والحسن البصري : أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري . وأورد حديثا عن معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقني مالا . فقال رسول الله صلى

---

(١) نقل عن الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث . التفسير والمفسرون ١/ ١١٥

(٢) سورة التوبة الآيات من ٧٥ ـــ ٧٧

الله عليه وسلم : ويحك ياثعلبة ، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه . ثم قال مرة أخرى ، فقال : أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ، فو الذي نفسي بيده لو شئتُ أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت . قال : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ارزق ثعلبة مالا . فاتخذ غنما ، فنمت كما ينمى الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، فنزل واديا من أوديتها ، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما . ثم نمت وكثرت ، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة . وهي تنمي كما ينمي الدود ، حتى ترك الجمعة . فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مافعل ثعلبة ؟ فقالوا : يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة ، فأخبروه بأمره . فقال : ياويح ثعلبة، ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة . وأنزل الله جل ثناؤه : خذ من أموالهم صدقة ... الآية . ونزلت فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين . رجلا من جهينة ، ورجلا من سليم . وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين . وقال لهما: مرا بثعلبة ، وبفلان ــ رجل من بني سليم ــ فخذا صدقاتهما ، فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ماهذه إلا جزية ، ماهذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ماهذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي . فانطلقا ، وسمع بهما السلمى ، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهما بها ، فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . فقال : بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة ، وإنما هي لله ، فأخذاها منه ، ومرا على الناس فأخذا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أروني كتابكما ، فقرأه فقال : ماهذه إلا جزية ، ماهذه إلا أخت الجزية . انطلقا حتى أرى رأيي . فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : ياويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمى بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمى . فأنزل الله عز وجل : ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ...

الآية . قال : وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك ياثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك . فجعل يحثو على رأسه التراب . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني . فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبض صدقته رجع إلى منزله . فقُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقبل منه شيئا . ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استُخلف فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعي من الأنصار ، فاقبل صدقتي . فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يقبلها. فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتي . فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك . فقبض ولم يقبلها . فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فقال : اقبل صدقتي ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ، وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلهـــا منه . فهلك ثعلبة في خلافة عثمان . (١)

وهذه الرواية مردودة ، إذ أن ثعلبة بن حاطب أنصاري ، بدري مبرأ من النفاق ، مشهود له بالإيمان . كما أن هذا الخبر لم يثبت من أي وجه صحيح .

السبب الثاني :الاعتماد على الإسرائيليات . (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥

(٢) لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير ، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه إلا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير ، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية . وإنما أطلق على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني .
يراجع : محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ١/ ١٢١

ولقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير ، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة ، من الالتزام بدائرة المباح من ذلك ، بل تعدى دائرة الجواز ؛ فرووا كل ما سمعوه ، وكل ما قيل لهم ، إن صدقا ، وإن كذبا . بل ودخل هذا النوع من التفسير كثيرٌ من القصص الخيالى المخترع ؛ مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها ، يكاد لا يقبل شيئا مما جاء فيها ، لاعتقاده أن الكل من واد واحد.(١)

يقول صاحب كتاب بدع التفاسير : وإني لشديد العجب من علمائنا المتقدمين، الذين اعتمدوا على الإسرائيليات في التفسير وغيره ، ناسين أن الله تعالى أخبر عن أهل الكتاب أنهم حرفوا كتبهم ، وبدلوا فيها ؛ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا من تصديقهم . وأعجب من هذا أن تلك الإسرائيليات تغلغلت في كتب العلماء ، وتسلطت على عقولهم ، حتى صارت عندهم عقيدة ، على أساسها يفهمون القرآن الكريم ، وبتفاصيلها يفسرون ما غمض من آياته !

مثلا : في القرآن الكريم دلالة قاطعة على أن (الذبيح) إسماعيل ــ عليه السلام ــ وكذلك مناسك الحج وشعائره تدل على ذلك أيضا ؛ ومع هذا ، فإن كثيرا من العلماء ، منهم الطبري ــ رحمه الله ــ ذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق ــ عليه السلام ــ لا لدليل من الكتاب أو السنة ، ولكن اعتمادا على كذب أهل الكتاب وتحريفهم . والحافظ السيوطي ــ رحمه الله ــ كتب رسالة في تعين الذبيح ، حكى فيها القولين ، وذكر أحاديث تؤيد الفريقين ، وهي أحاديث واهية ، لا تقف على ساقين ، ثم اختار التوقف عن تعيين الذبيح ، لتعارض الأدلة ! فانظر إلى أي حد سيطرت الإسرائيليات على عقول علمائنا وتفكيرهم . ومثل هذا حكاه بعض المفسرين في فتنة داوود وهم يوسف ــ عليهما السلام ــ وقصة هاروت وماروت ...وغير ذلك مما شوه كتب علمائنا ، وكان ثغرة نفذ منها الطاعنون والحاقدون (٢)

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ١٣٠

(٢) بدع التفاسير ، ص ٣٤ وما بعدها

السبب الثالث : الاعتماد على الأساطير والحكايات .

وهذا واضح بصورة كبيرة في كثير من كتب التفسير ، ويكاد لا يخلو منها تفسير على الإطلاق .

ومنشأ هذه الحكايات من القصاص ، الذين كانوا يجوبون البلاد، ويؤمون المساجد ، طلبا للرزق ، باستمالة قلوب العوام بالقصص العجيبة، والحكايات الغريبة ، التي ترقق القلوب ، وترغب وترهب ، بصرف النظر عن صدقها أو كذبها .

وقد حذر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أمثال هؤلاء فقال : " سيكون في آخر الزمان أناس من أمتي ، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم " (١)

يقول ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ في كتاب (الموضوعات) : معظم البلاء في وضع الحديث إنما يجري من القصاص (٢)

وذكر الحافظ السيوطي ــ رحمه الله ــ أن عامر الشعبي ــ وهو أعلم أهل العراق آنذاك ــ دخل أحد مساجد تدمر ، وإذا بشيخ عظيم اللحية ، قد أطاف به قوم يحدثهم ، فقال : إن الله تعالى خلق صورين ، له في كل صور نفختان ، نفخة الصعق ونفخة القيامة ، فقلت له : يا شيخ ، اتق الله ، ولا تحدثن بالخطأ ، إن الله تعالى لم يخلق إلا صورا واحدا ، وإنما هي نفختان : نفخة الصعق ونفخة القيامة . فقال لي : يافاجر ، إنما حدثني فلان عن فلان ، وترد علي ؟ ثم رفع نعله فضربني بها ، وتتابع القوم علي ضربا ، فوالله ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم أن الله تعالى خلق ثلاثين صورا ، له في كل صور نفخة (٣)

---

(١) أخرجه مسلم ، في مقدمة صحيحه ، من حديث أبي هريرة : جـ ١ ، ص ٩ ، حديث رقم ٦ . باب : النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها .

(٢) ١/ ٤٤

(٣) تحذير الخواص ص ١٥٣

وذكر السيوطي أيضا : أن قاصا جلس ببغداد ، فروى في تفسير قول الله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (١) أن الله تعالى يجلسه معه على عرشه . فبلغ ذلك الإمام محمد بن جرير الطبري ــ رحمه الله ــ فاحتد من ذلك ، وبالغ في إنكاره ، وكتب على باب داره :

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فثارت عليه عوام بغداد ، ورجموا بيته بالحجارة ، حتى سدت بابه (٢)

السبب الرابع : التعصب المذهبي في العقيدة .

وقد ابتليت الأمة الإسلامية في أواخر خلافة علي بن أبي طالب ــ رضى الله عنه ــ بظهور الفرق المنحرفة ، كالخوارج ، وغلاة الشيعة ، ثم المعتزلة بعد ذلك ، وغيرهم ؛ والمعروف عن هؤلاء أنهم يلوون أعناق الآيات ، ويحرفون كلام الله تعالى عن مواضعه ، ليصلوا بما يزورون من القول إلى معتقدهم الفاسد ، ومذهبهم المنحرف .

ومن نماذج تفسير غلاة الشيعة ما يلي :

في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ (٣) قالوا : إن النجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن العلامات الأئمة (٤)

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩

(٢) تحذير الخواص ص ١٦١

(٣) سورة النحل ، الآية ١٦

(٤) فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة ، عبد المحسن بن حمد العباد البدر ص ٨٥ نقلا عن :

كتاب الأصول من الكافي ١/ ١٩٤

• وفي قول الله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ (١) :

زعموا أن عليا ـ ﷺ ـ قال: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده ، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة (٢)

• وفي قول الله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

ساقوا حديثا ، زعموا أنه ينتهي إلى أبي عبد الله (وهو جعفر الصادق) وفيه : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ فاطمة عليها السلام . ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ﴾ الحسن . ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ الحسين ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ فاطمة ، كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ! (٤)

ومن نماذج تفسير المعتزلة ما يلي :

---

(١) سورة إبراهيم من الآية رقم ٢٨

(٢) فضل أهل البيت ص ٨٥

(٣) سورة النور الآية ٣٥

(٤) فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة ، عبد المحسن بن حمد العباد البدر ص ٨٥ نقلا عن :

كتاب الأصول من الكافي ١/ ١٩٤

- قراءتهم قول الله تعالى : (من شر ما خلق) بتنوين " شر " وجعل (ما) نافية . والمعنى : قل أعوذ برب الفلق من شرٍ ما خلقه ، بل خلقه فاعله بناء على قاعدتهم أن العبد يخلق أفعال نفسه !

وهذا لا شك تحريف آثم ، يهوي بصاحبه في النار ـ إلا أن يتوب ـ نسأل الله تعالى السلامة والعافية (١)

- قال القاضي عبد الجبار المعتزلي : عند تفسير قوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ أليس المراد بها الرؤية على ما ورد في الخبر ؟ وجوابنا : أن المراد بالزيادة : التفضل في الثواب ! (٢)

وبهذا المعنى فسر الزمخشري الآية الكريمة ، وطعن في الحديث الصحيح المرفوع ، واستهزأ به ، حيث سماه حديثا مرقوعا ! (٣)

وحديث الرؤية رواه الإمام مسلم بسنده ، في كتاب الإيمان ، عن صهيب الرومي عن النبي صلى الله عليه وسلم : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا ؟ أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم . وفي رواية : ثم تلى هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(٤)

السبب الخامس : تأويل آيات القرآن الكريم تأويلا بعيدا ، وصرفها عن ظاهرها ، كتأويلات الصوفية الشاطحة وغيرهم .

وقد نقل الألوسي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره كثيرا من أقوال أهل التصوف وإشاراتهم ، مع تعقيبه في الغالب عليها ، ونقدها . ومن أمثلة ذلك ما نقله

---

(١) بدع التفاسير ص ١٤٨

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ١٥٩

(٣) الكشاف ٢/ ١٨٨

(٤) ١/ ١٦٣ رقم ٢٩٧ . والآية الكريمة رقم ٢٦ من سورة يونس

عنهم في قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ﴾

قالوا : في الآية إشارة إلى أن الله تعالى حفظهم عن الاحتراق في السبحات ، فجعل شمس الكبرياء تزاور عن كهف قربهم، ذات يمين الأزل ، وذات شمال الأبد . وهم في فجوة وصال مشاهدة الجمال والجلال ، محروسون محفوظون عن قهر سلطان صرف الذات الأزلية التي تتلاشى الأكوان في أول بوادي إشراقها .

كما قالوا عن ذي القرنين : إنه إشارة إلى القلب ، وقيل : إلى الشيخ الكامل . ويأجوج ومأجوج إشارة إلى الدواعي والهواجس الوهمية والوساوس والنوازع الخيالية . وقيل : إشارة إلى القوى والطبائع. والأرض إشارة إلى البدن . (١)

وممن استعمل التفسير الإشاري من العلماء غير الصوفية : النيسابوري في تفسيره المطبوع بهامش تفسير الطبري ، وإسماعيل حقي في تفسيره : روح البيان ، والألوسي في تفسيره : روح المعاني . ومن الصوفية : عرائس البيان للورتجي ، والبحر المجيد في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني . وهذا التفسير يعتبر لسان الصوفية ، والمعبر عنهم في هذا الفن(٢)

هذا ، وهناك أسباب أخرى لوجود الدخيل في التفسير غير ما سبق منها :

— التعصب المذهبي في الفقه .

— التعصب القبلي والسياسي .

— الجهل بقواعد اللغة العربية .

— الاستناد على مجرد العقل وتفضيله على النقل الصحيح .

---

(١) روح المعاني ١٦ / ٥٥

(٢) بدع التفاسير ١٥٤

ـــ التكلف في التفسير العلمي .

وهذه الأسباب كلها تحتاج ـــ في الحقيقة ـــ إلى تفصيل ، وتوضيح ، ولا يسعها مثل هذا البحث ، فهي جديرة بأن تفرد بالتأليف ، وقد اقتصرنا منها على ما يناسب الحال والمقام ، والله تعالى المستعان .

الآيات الكريمة موضوع البحث

يقول الله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ

مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ
قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ
أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾
إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا
أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ
لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ
أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾
سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ
أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ
وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾

سورة الكهف ، الآيات من ٩ إلى ٢٦

المبحث الأول :

الدخيل في منشأ قصة أصحاب الكهف ومبتدأ أمرهم

احتلت قصة أصحاب الكهف مساحة كبيرة من كتب المفسرين ، وساقوا فيها وحولها روايات مطولة ، حلقوا فيها بأخيلتهم ، وأرخوا العنان لأقلامهم . ونذكر فيما يلي بعضا من هذه الروايات ، ثم نتبعها ــ إن شاء الله تعالى ــ بالرد والتعقيب.

جاء في تفسير الخازن ما يلي :

قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن يسار مرج أهل الإنجيل ، وعظمت فيهم الخطايا ، وطغت فيهم الملوك ، حتى عبدوا الأصنام ، وذبحوا للطواغيت . وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده ؛ فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له : (دقيانوس) عبد الأصنام ، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه . وكان ينزل قرى الروم ، فلا يترك في قرية نزلها أحد إلا فتنه عن دينه، حتى يعبد الأصنام أويقتله ؛ حتى نزل مدينة أصحاب الكهف ، وهي (أفسوس) فلما نزلها كبر على أهل الإيمان ، فاستخْفوا منه، وهربوا في كل وجه . وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يُتبع أهل الإيمان فُيجمعوا له ، واتخذ شرطا من الكفار من أهلها يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس ، فيخيرهم بين القتل ، وبين عبادة الأوثان ، والذبح للطواغيت ؛ فمنهم من يرغب في الحياة ، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيُقتل ؛ فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل ، فيُقتلون ، ويُقطعون ، ثم يُربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها ، وعلى كل باب من أبوابها ، حتى عظمت الفتنة .

فلما رأى ذلك الفتية ، حزنوا حزنا شديدا ؛ فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء . وكانوا من أشراف الروم ، وكانوا ثمانية نفر ، بكوا

وتضرعوا إلى الله ، وجعلوا يقولون : ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا إن عبدنا غيره . اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة ، وارفع عنهم هذا البلاء ، حتى يعلنوا عبادتك ؛ فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا في مصلى لهم أدركهم الشرط ، فوجدوهم وهم سجود على وجوههم ، يبكون ويتضرعون إلى الله ؛ فقالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك ؟ انطلقوا إليه ، ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس ، فقالوا : تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤون بك ، ويعصون أمرك ، فلما سمع بذلك بعث إليهم ، فأُتى بهم تفيض أعينهم من الدمع ، معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم : ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض ، وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات من أهل مدينتكم ؟ اختاروا ، إما أن تذبحوا لآلهتنا ، وإما أن أقتلكم . فقال مكسلمينا ـ وهو أكبرهم سنا ـ : إن لنا إلها ملأ السموات والأرض عظمة ، لن ندعو من دونه إلها أبدا ، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا ، إياه نعبد ، وإياه نسأل النجاة والخير ؛ فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا ، فاصنع بنا ما بدا لك . وقال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال مكسلمينا ؛ فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوسا كان عليهم من لبوس عظمائهم ، ثم قال : سأفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة ، وما يمنعني أن أعجل ذلك إلا أني أراكم شبانا حديثة أسنانكم ، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وترجعون إلى عقولكم ؛ ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ، ثم أمرهم فأُخرجوا من عنده ، وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم ، قريبا منهم لبعض أموره ، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه ، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يُذكر بهم ، فائتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه ، فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة ، في جبل يقال له : (مخلوس) فيمكثون فيه ويعبدون الله ، حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه ، فيصنع بهم ما شاء . فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه ، فأخذ نفقة فتصدق

منها ، ثم انطلقوا بما بقي معهم ، واتبعهم كلب كان لهم ، حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه . قال كعب الأحبار : مروا بكلب فتبعهم ، فطردوه ففعل ذلك مرارا ، فقال لهم الكلب : يا قوم ما تريدون مني ؟ لا تخشون جانبي ! أنا أحب أحباب الله ! فناموا حتى أحرسكم ! وقال ابن عباس : هربوا ليلا من دقيانوس ، وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب ، فتبعهم على دينهم ، وتبعه كلبه ، فخرجوا من البلد إلى الكهف ، وهو قريب من البلد . قال ابن إسحاق : فلبثوا فيه ، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ، ابتغاء وجه الله ، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم ، يقال له : (تمليخا) فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا ، وكان من أجملهم وأجلدهم ، وكان إذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ، ويأخذ ثيابا كثياب المساكين ، الذين يستطعمون فيها ، ثم يأخذ مالا ، فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ، ويتحسس لهم الخبر ، هل ذُكر هو وأصحابه بشيء ، ثم يرجع إلى أصحابه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا ، ثم قدم دقيانوس المدينة ، فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت ، ففزع من ذلك أهل الإيمان ، وكان تمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم ، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ، ومعه طعام قليل ، وأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة ، وأنهم قد ذُكروا والتُمسوا مع عظماء المدينة ، ففزعوا ، ووقعوا سجودا ، يدعون الله ، ويتضرعون إليه ، ويتعوذون من الفتنة . ثم إن تمليخا قال لهم : يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم ، واطعموا ، وتوكلوا على ربكم ، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع ، فطعموا ، وذلك عند غروب الشمس ، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ، ويذكر بعضهم بعضا ، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف ، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، فأصابه ما أصابهم ، وهم مؤمنون موقنون ، ونفقتهم عند رؤوسهم . فلما كان من الغد فقدهم (دقيانوس) فالتمسهم فلم يجدهم ، فقال لبعضهم : لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا ، لقد كانوا ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ، ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي . فقال عظماء المدينة : ما أنت بحقيق أن

ترحم قوما فجرة مُردة عصاة ، قد كنت أجلت لهم أجلا ، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل ، ولكنهم لم يتوبوا . فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ، ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم ، فقال : أخبروني عن أبنائكم المردة ، الذين عصوني . فقالوا له : أما نحن فلم نعصك ، فلم تقتلنا بقوم مردة ، قد ذهبوا بأموالنا ، فأهلكوها في أسواق المدينة ، ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى بـــ (مخلوس) ؟ فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم ، وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية ، فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيُسد عليهم . وأراد الله أن يكرمهم ، ويجعلهم آية لأمة تُستخلف من بعدهم ، وأن يبين هم لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . فأمر دقيانوس بالكهف أن يُسد عليهم . وقال : دعوهم كما هم في الكهف ، يموتون جوعا وعطشا ، ويكون كهفهم الذي اختاروا قبرا لهم ، وهو يظن أنهم أيقاظ ، يعلمون ما يصنع بهم ؛ وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم ، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، قد غشيهم ما غشيهم ، يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال .

ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما ، اسم أحدهما (يندروس) والآخر (روناس) ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية ، وأنسابهم ، وأسمائهم ، وخبرهم ، في لوحين من رصاص ، ويجعلاهما في تابوت من نحاس ، ويجعلا التابوت في البنيان . وقالا : لعل الله أن يُظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم . ففعلا ، وبنيا عليه . فبقي (دقيانوس) ما بقي ، ثم مات هو وقومه ، وقرون بعده كثيرة . وخلفت الملوك بعد الملوك (١)

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب ، وكان معهم كلب صيدهم ، فخرجوا في عيد لهم عظيم ، في زي وموكب ،

---

(١) لباب التأويل ٤/ ١٩٧ وما بعدها

وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها ، وقد قذف الله في قلوب الفتية الإيمان ؛ وكان أحدهم وزير الملك ، فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه ؛ فقالوا في أنفسهم : نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم ، لا يصيبنا عقاب يحرمهم ، فخرج شاب منهم ، حتى انتهى إلى ظل شجرة ، فجلس فيه ، ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده ، فرجا أن يكون على مثل أمره ، من غير أن يُظهر ذلك ، ثم خرج الآخر ، فاجتمعوا في مكان . فقال بعضهم لبعض : ما جمعكم ؟ وكل واحد يكتم صاحبه إيمانا مخافة على نفسه . ثم قالوا : ليخرج كل فتى فيخلوا بصاحبه ، ثم يفشي واحد منكم سره إلى صاحبه ، ففعلوا ، فإذا هم جميعا على الإيمان ، وإذا كهف في الجبل قريب منهم . فقال بعضهم لبعض : فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته . فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد ، فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وفقدهم قومهم فطلبوهم ، فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم ؛ فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح . فلان ، وفلان ، وفلان ، أبناء ملوكنا ، فقدناهم في شهر كذا ، في سنة كذا ، في مملكة فلان بن فلان. ووضعوا اللوح في خزانة الملك ، وقالوا : ليكونن لهذا شأن . ومات ذلك الملك ، وجاء قرن بعد قرن (١)

ونقل البغوي في تفسيره قال وهب بن منبه : جاء رجل من حواري عيسى ـــ عليه السلام ـــ إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها ، فقيل له : إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا يسجد له ؛ فكره أن يدخلها ، فأتى حماما قريبا من المدينة ، فكان يؤاجر نفسه من الحمامي ويعمل فيه ، ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ، واجتمع عليه فتية من أهل المدينة ، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض ، وخبر الآخرة ، حتى آمنوا وصدقوه ، وكان قد شرط على صاحب الحمام أن الليل لي ، لا يحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد ، وكان على ذلك ، حتى أتى ابن الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فعيره الحواري ، وقال له : أنت

(١) لباب التأويل ٤/ ١٩٧ وما بعدها

ابن الملك ، وتدخل مع هذه ؟ فاستحيا ، وذهب ، فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك . فسبه وانتهره ، ولم يلتفت إلى مقالته ، حتى دخلا معا ، فماتا في الحمام . وأتى الملك ، فقيل له : قتل صاحب الحمام ابنك ، فالتمسه الملك فلم يقدر عليه ، وهرب ، فقال من كان يصحبه قد كان معه فتية ، فالتمسوا فخرجوا من المدينة ، فمروا بصاحب لهم على مثل إيمانهم ، فانطلق معهم ومعه كلب ، حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوا وقالوا: نبيت هنا الليلة ، ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم .

فضرب الله على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يبتغونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ، فلما أراد رجل منهم دخوله أرعب ، فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل منهم ، أليس لو قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال: بلى قال : فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعا ففعل .

قال وهب : فمر بعدما سدوا عليهم باب الكهف زمان بعد زمان . ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر فاكنهم من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتح ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا .

وقال محمد بن إسحاق : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح ، يقال له (بيدروس) فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين سنة ، فتحزب الناس في ملكه ؛ فكانوا أحزابا ، منهم من يؤمن بالله ، ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها ، فكبر ذلك على الملك الصالح ، فبكى وتضرع إلى الله وحزن حزنا شديدا ، لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ، ويقولون لا حياة إلا حياة الدنيا ، وإنّما تبعث الأرواح ، ولا تبعث الأجساد .. فجعل (بيدروس) يرسل من يظن أن فيهم خيرا وأنهم أئمة في الخلق فجعلوا يكذبون بالساعة ، حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين ، فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه ، ولبس مسحا ، وجعل تحته رمادا فجعل عليه ، فدأب ليله ونهاره زمانا

يتضرع إلى الله تعالى ويبكي ، ويقول : أي رب ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث إليهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه .

ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد ، أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ، ويبين للناس شأنهم ، ويجعلهم آية وحجة عليهم ، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ويستجيب لعبده الصالح (بيدروس) ويتم نعمته عليه ، وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين ؛ فألقى الله في نفس رجل من ذلك البلد الذي فيه الكهف ، وكان اسم ذلك الرجل (أوليانوس) أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ، فيبني به حظيرة لغنمه ، فاستأجر غلامين ، فجعلا ينزعان تلك الحجارة ، ويبنيان تلك الحظيرة ، حتى نزعا ما على فم الكهف ، وفتحا باب الكهف ، وحجبهم الله عن الناس بالرعب ، فلما فتحا باب الكهف أذن الله ــــ ذو القدرة والسلطان محي الموتى ــــ للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف ، فجلسوا فرحين ، مسفرة وجوههم ، طيبة أنفسهم ، فسلم بعضهم على بعض ، كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم ؛ ثم قاموا إلى الصلاة ، فصلوا كالذي كانوا يفعلون، لا يُرى في جوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه ، كهيئتهم حين رقدوا ، وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم ، فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم : أنبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار ؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون ، فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما ؟ قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم ، ثم قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم ، وكل ذلك في أنفسهم يسير. فقال لهم تمليخا : التُمستم في المدينة فلم توجدوا ، وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم ، فتذبحون للطواغيت ، أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل . فقال لهم مكسلمينا : يا إخوتاه ، اعلموا أنكم ملاقوا الله ، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله .

ثم قالوا لتمليخا : انطلق إلى المدينة ، فتسمع ما يقال لنا بها ، وما الذي يُذكر عند دقيانوس ، وتلطف ، ولا تشعرن بك أحدا ، وابتع لنا طعاما فائتنا به ،

وزدنا على الطعام الذي جئتنا به قبل ، فقد أُصبحنا جياعا ، ففعل تمليخا كما كان يفعل ، ووضع ثيابه ، وأخذ الثياب التي يتنكر فيها، وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم ، والتي ضُربت بطابع دقيانوس فكانت كخفاف الربع ، والربع أول ما ينتج من ولد الضأن في الربيع ، فانطلق تمليخا خارجا ، فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف ، فعجب منها ، ثم مر ولم يبال بها ، حتى وصل باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق ، تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ، ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة .

فلما أتى تمليخا باب المدينة ، رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان الإيمان ظاهرا فيها ، فلما رآها عجب ، وجعل ينظر إليها مستخفيا ، وجعل ينظر يمينا وشمالا ، ثم ترك ذلك الباب ، فتحول إلى باب آخر من أبوابها ، فرأى مثل ذلك ، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناسا كثيرين محدثين، لم يكن يراهم قبل ذلك ، فجعل يمشي ويتعجب ، ويخيل إليه أنه حيران ، ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ، ويقول : يا ليت شعري ، ما هذا ؟ أما عيشة أمس فكان المسلمون يخبئون هذه العلامة ، ويستخفون بها ، وأما اليوم فإنها ظاهرة ، لعلي نائم .. ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه ، ثم دخل المدينة ، فجعل يمشي بين ظهراني سوقها ، فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم ، فزاده فرقا ، ورأى أنه حيران ، فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدر المدينة . وقال في نفسه : والله ما أدري ما هذا . أما عيشة أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل . وأما الغداة فأسمعهم وكل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحدا .

ثم قال في نفسه : لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف ، فقام كالحيران ، ثم لقي فتى ، فقال له : ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ قال اسمها (أفسوس) فقال في نفسه : لعل بي مسا ، أو أمرا أذهب عقلي ، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها ، أو يصيبني شر فأهلك ، ثم إنه أفاق، فقال : والله لو عجلت

الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس بي ، فدنا من الذين يبيعون الطعام ، فأخرج الورق التي كانت معه ، فأعطاها رجلا منهم ، فقال : بعني بهذه الورق طعاما ، فأخذها الرجل ، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منه ، ثم طرحها إلى رجل آخر من أصحابه فنظر إليها ، فجعلوا يتطارحونها بينهم ، من رجل إلى رجل، يتعجبون منها . ثم جعلوا يتشاورون بينهم ، ويقول بعضهم لبعض: إن هذا أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان ودهر طويل ، فلما رآهم تمليخا يتشاورون من أجله ، فرق فرقا شديدا ، وجعل يرتعد ، ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس . وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه ، فلا يعرفونه ، فقال لهم ــ وهو شديد الفرق منهم ــ افضلوا علي ، قد أخذتم ورقي فأمسكوها ، وأما طعامكم فلا حاجة لي به ، فقالوا له : من أنت يا فتى ؟ وما شأنك ؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين ، وأنت تريد أن تخفيه منا ، فانطلق معنا وأرنا ، وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت فإنك إن لم تفعل نأت بك إلى السلطان ، فنسلمك إليه ، فيقتلك . فلما سمع قولهم قال في نفسه : قد وقعت في كل شيء كنتِ أحذر منه . فقالوا : يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت ، فجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم ، وما يرجع إليهم ، وفرق حتى ما يخبر إليهم شيئا .

فلما رأوه لا يتكلم ، أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه ، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة ، حتى سمع به من فيها ، وقيل : قد أُخذ رجل معه كنز ؛ فاجتمع إليه أهل المدينة، صغيرهم وكبيرهم ، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة ، وما رأيناه فينا قط ، وما نعرفه قط . فجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم . فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم ، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة ، وأن حسبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها ، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به ، فبينا هو قائم كالحيران ، ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم ، إذ اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها ، اللذين يدبران أمرها ، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما (أريوس)

واسم الآخر (طنطيوس) فلما انطلق به إليهما ظن تمليخا أنه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار ، فجعل يلتفت يمينا وشمالا ، وجعل الناس يسخرون منه ، كما يسخرون من المجنون وجعل تمليخا يبكي ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال في نفسه : اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم علي صبرا ، وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار . وجعل يبكي ، ويقول في نفسه : فُرق بيني وبين إخوتي ، يا ليتهم يعلمون ما لقيت ، يا ليتهم يأتوني ، فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار ، فإنا كنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبدا ، يحدث به نفسه تمليخا ، حتى انتهوا إلى الرجلين الصالحين ، أريوس ، وطنطيوس . فلما رأى تمليخا أنه لا يُذهب به إلى دقيانوس ، أفاق وذهب عنه البكاء ، فأخذ أريوس وطنطيوس الورق ، فنظرا إليها ، وعجبا منها ، ثم قال له أحدهما : أين الكنز الذي وجدت يا فتى ؟ فقال تمليخا : ما وجدت كنزا ، ولكن هذا ورق آبائي ، ونقش هذه المدينة وضربها ، ولكن والله ما أدري ما شأني ، وما أقول لكم ؟ فقال أحدهما : فمن أنت ؟ فقال تمليخا : أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة . فقالوا: ومن أبوك ؟ ومن يعرفك فيها ؟ فأنبأهم باسم أبيه ، فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه . فقال له أحدهما : أنت رجل كذاب ، لا تنبئنا بالحق ، فلم يدر تمليخا ما يقول لهم ، غير أنه نكس بصره إلى الأرض . فقال بعض من حوله : هذا رجل مجنون . وقال بعضهم : ليس بمجنون ، ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينقلب منكم . فقال له أحدهما ــــ ونظر إليه نظرا شديدا ــــ : أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ؟ ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة ؟ وإنما أنت غلام شاب ، أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ، ونحن شيوخ شمط كما ترى ، وحولك سراة أهل المدينة ، وولاة أمرها ، وخزائن هذه البلدة بأيدينا ، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار . وإني لأظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته .

فلما قال ذلك ، قال لهم تمليخا : أنبئوني عن شيء أسألكم عنه ، فإن فعلتم صدقتكم عما عندي . قالوا : سل ، لا نكتمك شيئا، قال لهم : ما فعل الملك دقيانوس ؟ قالوا لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملك يسمى دقيانوس ، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل ، وهلكت بعده قرون كثيرة . فقال تمليخا : إني إذا لحيران ، وما يصدقني أحد من الناس بما أقول . لقد كنا فتية على دين واحد ، وهو الإسلام ، وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فهربنا منه عشية أمس ، فنمنا ، فلما انتبهنا خرجتُ لأشتري لهم طعاما ، وأتجسس الأخبار ، فإذا أنا كما ترون. فانطلِقوا معي إلى الكهف ، أريكم أصحابي ، فلما سمع (أريوس) ما يقول تمليخا قال: يا قوم ، لعل هذه آية من آيات الله، جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى ، فانطلقوا معه يُرنا أصحابه .

فانطلق معه أريوس وطنيوس ، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم ، نحو أصحاب الكهف ، لينظروا إليهم ، ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به ، ظنوا أنه قد أُخذ فذُهب به إلى ملكهم دقيانوس . فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات ، وجلب الخيول مصعدة نحوهم ، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس ، بعث إليهم ليؤتى بهم ، فقاموا إلى الصلاة ، وسلم بعضهم على بعض ، وأوصى بعضهم بعضا . ثم قالوا : انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا ، فلعله الآن بين يدي الجبار ، ينتظر متى نأتيه . فبينما هم يقولون ذلك ، وهم جلوس بين ظهراني الكهف ، لم يروا إلا أريوس وأصحابه ، وقوفا على باب الكهف ، وسبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي ، فلما رأوه يبكي بكوا معه ، ثم سألوه عن شأنه ، فأخبرهم ، وقص عليهم القصة والنبأ كله ، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله ، وإنما أُوقِظوا ليكونوا آية للناس ، وتصديقا للبعث ، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ثم دُخل على أثر تمليخا أريوس ، فرأى تابوتا من نحاس ، مختوما بخاتم من فضة ، فقام بباب الكهف ، ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ، ففتح التابوت عندهم ، فوجدوا

فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما " أن مكسلمينا ، ومخشلمينا ، وتمليخا ، ومرطونس، وكشطونس ، ويبرونس ، وديموس ، وبطيوس ، والكلب اسمه قطمير ، كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار ، مخافة أن يفتنهم عن دينهم ، فدخلوا هذا الكهف ، فلما أُخبر بمكانهم أمر بالكهف فسُد عليهم بالحجارة ، وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم " . فلما قرأوه عجبوا ، وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم ، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ، ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف ، فوجدوهم جلوسا بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم ، لم تبْل ثيابهم ، فخر أريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ، ثم كلم بعضهم بعضا ، وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس . ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح بيدروس : أن عجل ، لعلك تنظر إلى آية من آيات الله ، جعلها الله في ملكك ، وجعلها آية للعالمين ، لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث . فاعجل إلى فتية بعثهم الله عز وجل ، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة . فلما أتى الملك الخبرُ رجع إليه عقله ، وذهب عنه غمه ، فقال : أحمدك الله رب السموات والأرض ، وأعبدك ، وأسبح لك ، تطولت علي ، ورحمتني، فلم تطفيء النور الذي كنت جعلته لآبائي للعبد الصالح بيدروس الملك ، فلما نبأ به أهل المدينة ، ركبوا إليه ، وساروا معه حتى أتوا مدينة (اكسوس) فتلقاهم أهل المدينة ، وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف ، فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به ، وخروا سجدا على وجوههم ، وقام بيدروس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى ، وهم جلوس بين يديه على الأرض ، يسبحون الله ويحمدونه . ثم قال الفتية لبيدروس : نستودعك الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، حفظك الله ، وحفظ ملكك ، ونعيذك بالله من شر الإنس والجن . فبينما الملك قائم ، إذ رجعوا إلى مضاجعهم ، فناموا وتوفى الله أنفسهم . وقام الملك إليهم فجعل ثيابهم عليهم ، وأمر أن يُجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما أمسى ونام ، أتوه في المنام ، فقالوا له : إننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ، ولكنا خلقنا من تراب ، وإلى التراب نصير .

فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب ، حتى يبعثنا الله منه ، فأمر الملك أحينئذ بتابوت من ساج ، فجُعلوا فيه ، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم ، فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يُصلي فيه ، وجعل لهم عيدا عظيما ، وأمر أن يُؤتى كل سنة .

وقيل : إن تمليخا لما حُمل إلى الملك الصالح قال له الملك: من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل هذه المدينة . وذكر أنه خرج أمس ، أو منذ أيام ، وذكر منزله ، وأقواما لم يعرفهم أحد ، وكان الملك قد سمع أن فتية فُقدوا في الزمن الأول ، وأن أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة ، فدعا باللوح و نظر في أسمائهم ، فإذا هو من أولئك القوم ، وذكر أسماء الآخرين ، قال تمليخا : هم أصحابي ، فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم ، فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا : دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم ، فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم . فدخل فبشرهم ، فقبض الله أرواحهم ، وأعمى عليهم أثرهم ، فلم يهتدوا إليهم مرة ثانية . (١)

وذكر الطبري في تفسيره مثل هذه القصة تماما (٢) ونقل الألوسي بعضا من هذه القصة فذكرها في تفسيره ، وكثير من المفسرين صنعوا مثل هذا الصنيع .

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ١٩٤ وما بعدها

(٢) الطبري ١٥ / ٢٢٢

نقد الروايات السابقة وبيان أنها من الدخيل :

هذه الروايات السابقة ــ التي حشى بها المفسرون كتبهم ــ لا تعدوا إلا أن تكون مجرد تصورات وأقاويل ، معظمها مستمد من الإسرائيليات ، ومستقى من التخيلات والأوهام ، وليس وراءها أثر مستيقن . وكلها أقوال مضطربة ، ونصوص غير متسقة ، وركاكة الألفاظ فيها بادية ، ويبدو ــ والله أعلم ــ أنها خليط من أقوال أهل الكتاب ، مع حكايات القصاصين .

فما ورد ــ في الروايات السابقة ــ من التفصيلات ، والحوارات ، وأسماء الأماكن والأشخاص ،أمور لا سبيل إلى معرفتها يقينا إلا من جهة الوحي ، وليس في شيء من هذه الحكايات نبأ صادق يُعتمد عليه ، أووحي صحيح يُرجع إليه ، فكيف نسلم بها ونقبلها ؟

" والقرآن الكريم لم يتبع في حديثه عن السابقين ، وإيراده لقصصهم وأخبارهم المنهج التفصيلي التحليلي ؛ فلم يتوسع في الحديث عن زمان أومكان ، أو أبطال ، أو تفصيلات القصة ، ولم يتحدث عن كل حادثة أو جزئية أوفرعية فيها ، ولم يستطرد إلى تكميلات وتحليلات وتفصيلات في أحداثها ، وحركات أبطالها ، وخلفيات مشاهدها ، لم يفصل القرآن الكريم شيئا من هذا ، لأنه لم يستهدف من قصصه هذه التفصيلات والتحليلات ؛ إنما هدف إلى عرض الحقائق ، وتقرير القيم والتصورات ، واستخلاص العبر والدروس ، والتوجيه إلى الدلالات والانتفاع بما فيها من توجيهات . وهذا متحقق في المقدار الذي عرضه القرآن الكريم ، بالكيفية التي عرضه بها .

وكان الأولى بمفسري كتاب الله تعالى والدارسين له ــ الذيت اتجهوا إلى الإسرائيليات والأساطير ــ أن يقفوا عند حدود العرض القرآني لقصص السابقين ، وأن يستفيدوا من منهجه وطريقته في النظر فيها وتحليلها ، وأن لا يجاوزوا القرآن الكريم إلى مصادر بشرية عاجزة جاهلة، يطلبون منها تفصيل ما أجمل القرآن ، أو تبيين ما أبهم فيه .

وليتهم طلبوا هذا من مصادر موثوقة ، قد تعطيهم علما ويقينا في هذا المجال ، ولكنهم طلبوا هذا من مصادر محرفة كاذبة ؛ فأقبلوا على الإسرائيليات ، يزيدون منها علمهم وثقافتهم ، ويملأون منها تفاسيرهم وأبحاثهم ودراساتهم ، ويحددون بهذا الهراء نصوص القرآن الكريم . ويبينون بهذه الخرافات مبهمات القرآن الكريم .

ونسي هؤلاء توجيهات القرآن الكريم ، في عدم البحث فيما لا دليل عليه ، كأحداث الماضين ، التي هي من أنباء الغيب ، وأن لا يسأل فيها من لا علم عنده ،وأن لا يقفو المسلم ما ليس له به علم " ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١)

والواجب إزاء هذه الأمور أن نقف عند حدود النصوص القرآنية ولا نتعداها ، فلا نخبط بلا دليل ، في افتراض تفصيلات للقصة ، لا تقوم على أصل، ولم يرد بها نص موثوق . اللهم إذا كان هناك نص نبوي صحيح ، أما غير ذلك فهو في الحقيقة ضرب في التيه بدون نتيجة تذكر، أو فائدة ترجى.

---

(١) صلاح الخالدي ، مفاتيح للتعامل مع القرآن ص ٩٤ وما بعدها بتصرف يسير . والآية رقم ٣٦ من سورة الإسراء

موقف المفسرين من هذا الدخيل

تبين مما سبق أن كثيرا من المفسرين انساق وراء هذه الحكايات الواهية ، وانخدع بحبكتها الروائية ، ولكن بعضا منهم أعرض عنها ، أو محصها ونقدها . ومن هؤلاء : الحافظ ابن كثير ، وأبو حيان ، وسيد قطب، رحم الله الجميع .

قال ابن كثير : وقد ذُكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ فالله أعلم . والظاهر : أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ؛ فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم ، لمباينتهم لهم . والله أعلم (١)

وقال أيضا : وقد قيل : إن قومهم ظفروا بهم ، ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه ، فقالوا : ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم ، فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ، ففعلوا ذلك . وفي هذا نظر والله أعلم ؛ فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى (٢)

وقال الألوسي ــ بعد أن ذكر الروايات السابقة في تفسيره ــ : ورُوي غير ذلك ، والأخبار في تفصيل شأنهم مختلفة ، قال أبو حيان ــ رحمه الله تعالى : " ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية اجتماعهم وخروجهم ، ولا معول إلا على ما قصه الله تعالى من نبئهم . "(٣)

وقال صاحب الظلال ــ رحمه الله ــ :

" في القصة روايات شتى ، وأقاويل كثيرة . فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور شتى . ونحن نقف فيها عند حد ما جاء في القرآن ، فهو المصدر الوحيد المستيقن . ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفاسير بلا

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٥

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٧٦

(٣) روح المعاني ٢/ ٥٧٨

سند صحيح . وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها ، وعن المراء فيها والجدل رجما بالغيب ." [1]

والتفسير الصحيح للقصة :

أن هذا نموذج واقعي رائع ، يعرض لحالة إيمانية ، وقعت في عصر من العصور ، أبطاله مجموعة من الشباب ، جمعهم الله تعالى على الإيمان ، وألف بين أرواحهم ، وثبت قلوبهم حينما وقفوا بعزيمة ماضية في وجه طاغوت زمانهم بالحق الذي أكرمهم الله به .

ولقد توجهوا إلى ربهم سبحانه ليرشدهم إلى الخلاص والنجاة ؛ فيسر لهم الطريق إلى الكهف ، ليكون ملاذا وأمانا لهم على حين .

وفي الكهف تتداركهم عناية الله تعالى ، وتحوطهم رحمته ؛ فيسخر لهم الشمس ، ينالهم دفؤها ، وينصرف عنهم لهيبها ، كما ألبسهم الله تعالى لباس الهيبة والجلال ، حتى لا تمسهم يد ، إلى أن يبلغ الكتاب أجله .

وفي الوقت الذي أراده الله جل شأنه تعود إليهم أرواحهم ، ويدور فيما بينهم حوار سريع حول مدة نومهم ، ثم يطوون هذا الحوار الذي رأوا أنه لا طائل من وراءه ، لينتقلوا إلى أمر عملي ، وهو إحضار الطعام من المدينة .

ويتسلل أحدهم إلى المدينة ـ التي تغير أهلها وتبدل حالها ـــ وهو يحاذر أن ينكشف أمره ، حتى لا يقع هو وإخوانه في الفتنة والابتلاء . ولكن الله تعالى يريد أمرا آخر ، إنه سبحانه يريد أن يجعل من هذه العصبة المؤمنة آية شاخصة ، وحجة واضحة على أن الناس يموتون كما ينامون، ويبعثون كما يستيقظون ، وأنهم بعد ذلك بين يدي ربهم مجموعون ومحاسبون .

فينكشف أمر الفتى ويقف الناس على خبر أصحاب الكهف ، ويتجلى الحق للناظرين .

---

(١) في ظلال القرآن ٤ / ٢٢٦١

ويتجادل الناس ــ على عادتهم ــ في أمر الفتية وفي عددهم ، فيأمر الله تعالى بعدم الخوض في أمر لاسبيل إلى معرفته ، ولا فائدة من الإحاطة به ؛ لتنصرف الأذهان إلى العبرة المستفادة من القصة ، دون الانشغال بجزئيات الأ حداث وحواشيها . وفي سياق القصة فجوات تُركت لإعمال العقول ، وشحذ الأذهان ، وحتى لا يتبلد الحس ، أو تنطفىء جذوة الروعـــة بذكر التفاصيل والجزئيات. وهذا جانب مبرز من جوانب عظمة القرآن الكريم وإعجازه ، وسبحان من هذا كلامه .

المبحث الثاني

الدخيل في أسماء أصحاب الكهف

روى الخازن عن ابن عباس أنه قال : هم مكلمينا ، وتمليخا ، ومرطونس ، وبينونس ، وسارينونس ، وذا نوانس ، وكشفيططنوس ، وهو الراعي ، والكلب قطمير (١)

وقال الألوسي : أسماؤهم على ما صح عن ابن عباس : مكسلمينا، ويمليخا ، ومرطولس ، وثبيونس ، ودردونس ، وكفاشيطيطوس، ومنطنواسيس ، وهو الراعي ، والكلب اسمه قطمير .

ورُوي عن علي كرم الله تعالى وجهه أن أسمائهم : يمليخا ومكشلينيا ، ومثلينيا ، وهؤلاء أصحاب يمين الملك . ومرنوش ، ودبرنوش ، وشاذنوش ، وهؤلاء أصحاب يساره . وكان يستشير الستة والسابع الراعي . ولم يُذكر في هذه الرواية اسمه . وذُكر فيها أن اسم كلبهم قطمير . وفي صحة نسبة هذه الرواية لعلي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ مقال .

وقد سُموا في بعض الروايات بغير هذه الأسماء . وذكر الحافظ ابن حجر في شرح البخاري أن في النطق بأسمائهم اختلافا كثيرا ، ولا يقع الوثوق من ضبطها . وفي البحر المحيط أن أسماء أصحاب الكهف أعجمية ، لا تنضبط بشكل ، ولا نقط ، والسند في معرفتها ضعيف .

وذكروا لها خواصا ؛ فقال النيسابوري عن ابن عباس : إن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب ! والهرب ! وإطفاء الحريق ، تُكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ! ولبكاء الطفل ، تكتب وتوضع

تحت رأسه في المهد ! وللحرث ، تكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب وسط الزرع ! وللحمى المثلثة ! والصداع ! والغنى! والجاه ! والدخول على

---

(١) لباب التأويل ٤/ ٢٠٧

السلاطين ، تشد على الفخذ اليمنى ! ولعسر الولادة تشد على الفخذ الأيسر ! ولحفظ المال ! والركوب في البحر! والنجاة من القتل ! ولا يصح ذلك عن ابن عباس ، ولا عن غيره من السلف الصالح . ولعله شيء افتراه المتزيون بزي المشايخ ، لأخذ الدراهم من النساء وسخفة العقول . (١)

قال ابن كثير : وكانوا ثمانية نفر: مكسلمينا ، وكان أكبرهم ، وهو الذي كلم الملك عنهم . وبمليخا ، ومرطونس ، وكسطونس ، وبيرونس ، ودنيموس ، ويطبونس، وقالوش . هكذا وقع في هذه الرواية ، ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحاق ، أو من بينْه وبينْه ، فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة ، وهو ظاهر الآية . (٢)

تحقيق ونقد هذه الأقوال :

لقد أتعب المفسرون أنفسهم ، وأهدروا أوقاتهم ، وضيعوا جهدهم عندما انشغلوا بنقل هذه الروايات ، العارية عن السند ، والعارية أيضا عن الفائدة ؛ وليس هناك في الواقع حاجة حقيقية إلى تعيين مثل هذا الأمر ؛ ولو كان يترتب على بيانه فائدة لنص عليه القرآن الكريم ، وما أغفلته السنة المطهرة .

وتعيين مثل هذه الأمور لايسمن ولا يغني من جوع ، والعلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر، كما أن تعيين المبهمات الواردة في القرآن الكريم كأسماء الأشخاص والبلدان وغير ذلك أمر مرجعه النقل المحض ولا مجال للرأي فيه ، كما قال الإمام السيوطي رحمه الله (٣)

والواجب : أن ينظر الإنسان في القرآن الكريم ، فإذا وجد ما أُبهم في موضع مبينا في موضع آخر أخذه ، فإن لم يجد مبينا في القرآن الكريم ، توجه إلى ما صح منّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا بُين هناك أخذه ، ولا يجوز أن

---

(١) روح المعاني ١٥ / ٢٤٧

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٧٩.

(٣) الإتقان ٤/٩٥

يبحث في غير هذين المصدرين اليقينيين . فليتركه بعد ذلك على إيهامه و، ليسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في موقفهم منه.

فإن لم يفعل ذلك ، قال على الله تعالى بغير علم ، واتبع من ليس عنده علم ، وأشغل نفسه فيما لا خير فيه ، وخرج عن جو النص القرآني ، وخالف في ذلك كله هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في الصلة بالقرآن .

وممن نقد هذه الروايات التي جاءت بهذه الأسماء الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ فقال بعد أن ساق أسماءهم : وفي تسميتهم بهذه الأسماء نظر في صحته ، والله أعلم .. فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب وقد قال تعالى : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا ﴾ أي سهلا هينا ؛ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة . ولا تستفت فيهم منهم أحدا ، أي فإنهم لا علم لهم بذلك ، إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم ، رجما بالغيب ، أي من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية فيه ؛ فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال (١)

* *

---

(١) ابن كثير ٣/ ٧٩

المبحث الثالث

الدخيل في زمان أصحاب الكهف ومكانهم

قال صاحب التحرير والتنوير: كان انبعاث الفتية في مدة ملك اسمه :(ثاوذوسيوس)

واسم المدينة التي كانوا يقطنونها : ترسوس (طرسوس) وكان اسمها في الزمن الأول قبل الإسلام (أفسوس) (١)

وحكى ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس أن مكان الكهف قريب من أيلة ، وحكى عن ابن إسحاق أنه عند نينوى ، وقيل ببلد الروم وقيل ببلد البلقاء .(٢)

وقال الألوسي : " اعلم أنهم اختلفوا في تعيين موضع المسجد والكهف وفي البحر المحيط : أن في الشام كهفا فيه موتى ، ويزعم مجاوروه أنهم أصحاب الكهف ، وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ، ومعهم كلب رمة .

وبالأندلس في جهة غرناطة ، بقرب قرية تسمى لوشة ، كهف فيه موتى ، ومعهم كلب رمة ، وأكثرهم قد انجرد لحمه ، وبعضهم متماسك. وقد مضت القرون السالفة ، ولم نجد من عَلِمَ شأنهم . ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف . وقال ابن عطية : دخلت عليهم ، فرأيتهم ــ سنة أربع وخمسمائة ــ وهم بهذه الحالة ، وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم ، كأنه قصر مخلق قد بقي بعض جدرانه ، وهو في فلاة من الأرض خربة .

وبأعلى حصن غرناطة مما يلي القبة آثار مدينة قديمة ، يقال لها مدينة دقيوس ، وجدنا في آثارها غرائب . وحين كنا بالأندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ، ويذكرون أنهم يغلطون في عدتهم إذا عدوهم ، وأن معهم كلبا ، ويرحل الناس إلى (لوشة) لزيارتهم . وأما ما ذكره من المدينة القديمة ، فقد مررت

---

(١) ١٥ / ٢٦٢

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٦

عليها مرارا لا تحصى وشاهدت فيها حجارة كبارا ؛ ويترجح كون ذلك بالأندلس ، لكثرة دين النصارى بها ، لأنها هي بلاد مملكتهم العظمى ولأن الإخبار بما هو في أقصى مكان من أرض الحجاز أغرب وأبعد أن يعرف إلا بوحي من الله تعالى . "(١)

تحقيق ونقد هذه الأقوال :

من المعلوم أن القرآن الكريم لم يشر من قريب أو بعيد إلى زمان أصحاب الكهف أو مكانهم ، وكذلك السنة النبوية المطهرة ليس في ثناياها العطرة ما يدل على ذلك ، فلم يبق بعد ذلك إلا التكهن والتخرص والرجم بالغيب .

والقضية ليس فيها مجال لبحث أو اجتهاد أو نظر ، كما أن الأمر لا يستدعي ذلك ، فالعبرة متحققة بدون تحديد الزمان أو المكان ، فما ذكره أصحاب هذه الأقوال ماهو إلا تكلف غير مثمر ، ومجهود غير محمود .

يقول ابن كثير ــ رحمه الله ــ : قد أخبر الله تعالى بذلك ، وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض ، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا ؛ والله أعلم بأي بلاد الله هو . ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم ما ترك شيئا يقربنا إلى الجنة ويباعدنا من النار إلا وقد أعلمنا به ، فأعلمنا تعالى بصفة الكهف ، ولم يعلمنا بمكانه . (٢)

وقال الدكتور محمد أبو زهرة : تصدى القرآن الكريم لبيان أهل الكهف بما لم يتصدى به كتاب مقدس ، ولا نريد أن نخوض في أمر لم يتطرق إليه القرآن الكريم ؛ فلا نريد أن نرجم بالغيب ، ولا أن نسير وراء الظنون . والقرآن الكريم ليس كتاب تاريخ ؛ ولكنه كتاب عظة واعتبار ، وكل ما فيه صدق لا مجال للريب فيه . (٣)

---

(١) روح المعاني ١٥/ ٢٤٠

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٧٦ . بتصرف يسير .

(٣) زهرة التفاسير ٩/ ٤٤٩١

فالقصص القرآني يهمل عن قصد في حالات كثيرة ــ كما هو الحال هنا ــ الناحية الزمانية والمكانية ، وأحيانا أسماء الأشخاص أبطال القصة . وذلك لأن الهدف العام من سوق القصة أخذ العبرة والعظة ، وترسيخ الفكرة المعينة من خلال احداث القصة ، فينبغي أن يركز الفكر وتثار المشاعر وتوجه العواطف حول الغرض منها .

وصرف الاهتمامات إلى أي عنصر آخر في القصة تبديد للطاقات العقلية والملكات النفسية وصرفها عن التفاعل مع الغرض الأساسي الذي سيقت القصة من أجله .(١)

---

(١) مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ص ٢٠٢

المبحث الرابع

الدخيـــل فـــي معنى الرقيـــم

جاء في تفسير الطبري ـ رحمه الله ـ : وأما الرقيم فإن أهل التأويل اختلفوا في المعني به ، فقال بعضهم : هو اسم قريةٍ ، أو وادٍ ، على اختلاف بينهم في ذلك . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار، قال : ثنا يحيى بن عبد الأعلى ، وعبد الرحمن ، قالا: ثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : يزعم كعب أن الرقيم : القرية .

- حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس : أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ، قال : الرقيم واد بين عسفان وأيلة دون فلسطين ، وهو قريب من أيلة .
- حدثنا أبو كريب قال : ثنا ابن إدريس قال: سمعت أبي عن عطية قال : الرقيم واد .
- حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد، عن قتادة قوله : أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ، كنا نحدث أن الرقيم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف
- حدثنا الحسن بن يحيى، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله الرقيم ، قال : يزعم كعب أنها القرية .
- حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال: ثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول : أما الكهف فهو غار الوادي ، والرَّقيم اسم الوادي .

وقال آخرون : الرقيم : الكتاب . ذكر من قال ذلك :

- حدثنا علي قال : ثنا عبد الله قال : ثني معاوية عن علي، عن ابن عباس قوله : أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ، يقول : الكتاب (١)
- حدثنا أبو كريب ، قال ثنا ابن إدريس قال : ثنا أبي عن ابن قيس عن سعيد بن جبير قال : الرقيم لوح من حجارة ، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : الرقيم كتاب ، ولذلك الكتاب خبر ، فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب ، وعما فيه . وقرأ :

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ ﴾ ﴿ وَمَا أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ ﴾ (٢)

- وقال آخرون : بل هو اسم جبل أصحاب الكهف . ذكر من قال ذلك :
- حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثني حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس : الرقيم الجبل الذي فيه الكهف . قال أبو جعفر: وقد قيل إن اسم ذلك الجبل (بنجلوس) حدثنا بذلك ابن حميد قال: ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . وقد قيل : إن اسمه (بناجلوس)
- حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبئي أن اسم جبل الكهف (بناجلوس) واسم الكهف (حيزم) والكلب (حمران) وقد رُوي عن ابن عباس في الرقيم ما حدثنا به الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق، قال :

---

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٩٨

(٢) سورة المطففين الآيات ٨ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٠

أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كل القرآن أعلمه إلا حنانا ، والأواه، والرقيم .

- حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج عن ابن جريج قال : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول: قال ابن عباس : ما أدري ما الرقيم ؟ أكتاب أم بنيان .

وبعد أن ساق الإمام الطبري هذه الروايات قال : وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم ، أن يكون معنيا به لوح ، أو حجر ، أو شيء كتب فيه كتاب . وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أووا إلى الكهف . ثم قال بعضهم : رُفع ذلك اللوح في خزانة الملك ، وقال بعضهم : بل جُعل على باب كهفهم ، وقال بعضهم : بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم وإنما الرقم فعيل ، أصله مرقوم ، ثم صُرف إلى فعيل ، كما قيل للمجروح : جريح ، وللمقتول : قتيل . يقال : منه رقمت كذا وكذا ، إذا كتبته . ومنه قيل للرقم في الثوب رقم ، لأنه الخط الذي يُعرف به ثمنه . ومن ذلك قيل للحية : أرقم لما فيها من الآثار([1])

وقد ساق ابن كثير عددا من الأقوال ورجح في نهايتها أن الرقيم الكتاب . وقال : وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير والله أعلم ([2])

قال الألوسي : والرقيم اسم كلبهم ، على ما رُوي عن أنس والشعبي وجاء في رواية عن ابن جبير . ويدل عليه قول أميه بن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهمو والقوم في الكهف هجدا

وأخرج ابن المنذر وغيره ، عن ابن جبير ، أنه لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف وأمرهم ، ثم وُضع على باب الكهف وقيل : لوح من حجارة كتب

---

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٩٩

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٧٤

فيه أسماؤهم وجعل في سور المدينة ، وروي ذلك عن السدي . وقيل لوح من رصاص كتب فيه شأنهم ووضع في تابوت من نحاس في فم الكهف . وقيل لوح من الذهب كتب فيه ذلك، وكان تحت الجدار الذي أقامه الخضر عليه السلام . وروي عن ابن عباس أنه كتاب كان عندهم ، فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام ، وقيل من دين قبل عيسى عليه السلام . (١)

وقال صاحب تفسير الميزان قيل: إن أصحاب الرقيم غير أصحاب **الكهف** ، و **قصتهم غير قصتهم ، ذكرهم الله مع أصحاب الكهف و لم يذكر قصتهم.**

وهو بعيد جدا ، فما كان الله ليشير في بليغ كلامه إلى قصة طائفتين ، ثم يفصل القول في إحدى القصتين ، ولا يتعرض للأخرى ، لا إجمالا ، ولا تفصيلا . (٢)

---

(١) روح المعاني للألوسي ١٥ / ٢١٠

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٩ / ١٣٢

القول الفصل في هذا الأمر :

يتلخص لنا من جملة الأقوال السابقة : أن الرقيم يمكن أن يراد به اسم القرية ، أو اسم الوادي ، أو الجبل ، أو اسم كلبهم ، أو اسم للوح الذي كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم . واختيار واحد من هذه الأقوال لايضر . وتركها جميعا أيضا لا يضر . أما الجزم بأن مراد الله تعالى هو واحد من هذه الأقوال بعينه ، فهذا هو الخطأ الأكبر ؛ إذ لم يقم على ذلك دليل قاطع ، أو أثر صحيح .

وعلى ذلك فالبحث في مثل هذا الأمر لا يُجدي ، ويعتبر الكلام فيه من الحشو الذي لا خير فيه ، ولا علم يحتويه ، ولا ضرر في تركه وتحاشيه.

وإن كانت النفس تميل إلى اختيار الطبري وابن كثير ، من أن المراد بالرقيم ، الكتاب الذي كُتب فيه خبرهم .

وأما ما ورد من أن هذا الكتاب وُضع في خزانة الملك ، أو أنه جُعل على باب كهفهم ، أو أنه كان محفوظا عند بعض أهل بلدهم . أو أنه كان من ذهب ، أو من نحاس ، أو من رصاص ، أو أن هذا اللوح كان تحت الجدار الذي أقامه الخضر عليه السلام ، فهو كلام غير مقبول ، ويعوزه الدليل لإثبات صحته ، وما هو إلا رجم بالغيب ، وتكلف ما لايجدي علمه ، أو يضر تركه .

والله تعالى أعلم .

* * * * * * * * * * * * * * *

المبحث الخامس

الدخيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾

قال الطبري ــ رحمه الله ــ : نقلب هؤلاء الفتية في رقدتهم ، مرة للجنب الأيمن ، ومرة للجنب الأيسر، كما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله : ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وهذا التقليب في رقدتهم الأولى قال : وذكر لنا أن أبا عياض قال : لهم في كل عام تقليبتان . حدثت عن يزيد قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس : ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال: لو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الأرض (١) .

وقال مقاتل في تفسيره : كان يقلبهم جبريل ــ عليه السلام ــ كل عام مرتين لئلا تأكل الأرض لحومهم ، وقال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جنب ، لئلا تأكل الأرض لحومهم وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم . وقال أبو هريرة : كان لهم في كل سنة تقلبان . (٢)

وجاء في تفسير الألوسي: ونقلبهم في رقدتهم كثيرا ، ذات اليمين أي جهة تلي أيمانهم ، وذات الشمال ، أي جهة تلي شمائلهم ، كيلا تأكل الأرض ما عليها من أبدانهم ، كما أخرجه سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، عن ابن جبير ، واستبعد ذلك . وقال الإمام : إنه عجيب ، فإن الله تعالى الذي قدر على أن يبقيهم أحياء تلك المدة الطويلة ، هو عز وجل قادر على حفظ أبدانهم أيضا من غير تقليب . وأجيب بأنه اقتضت حكمته تعالى أن يكون حفظ أبدانهم بما جرت به العادة ، وإن لم نعلم وجه تلك الحكمة . وقيل : يمكن أن يكون تقليبهم حفظا لما هو عادتهم في نومهم ، من

---

(١) تفسير الطبري ١٥ / ٢١٣

(٢) لباب التأويل للخازن ٤/ ٢٠٥ ، تفسير البغوي ٣/ ١٥٤

التقلب يمينا وشمالا ، اعتناء بشأنهم . وقيل : يحتمل أن يكون ذلك إظهارا لعظيم قدرته تعالى في شأنهم ، حيث جمع الله تعالى شأنه فيهم الإنامة الثقيلة المدلول عليها بقوله تعالى : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ ، والتقليب الكثير . ومما جرت به العادة أن النوم الثقيل لا يكون فيه تقلب كثير ، ولا يخفى بعده .

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن مجاهد : أن التقليب في التسع سنين الضميمة ، ليس فيما سواها . وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة : أن هذا التقليب في رقدتهم الأولى ، يعني الثلثمائة سنة ، وكانوا يُقلبون في كل عام مرة ، ولم يكن في مدة الرقدة الثانية ، يعني التسع.

وتعقب الإمام ذلك بأن هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها . ولفظ القرآن لا يدل عليها ، ولم يأت بها خبر صحيح ؛ فظاهر الآية يدل على الكثرة ، لمكان **المضارع الدال على الاستمرار التجددي ، مع ما فيه من التثقيل . (١)**

وهل هذا التقليب من ملك ، أم من الله تعالى ؟ قال القرطبي: من ملك ، بأمر الله تعالى ، فيضاف إلى الله تعالى لأنه أمره .(٢)

كما نقل الألوسي من كلام أهل الصوفية في الآية الكريمة ما نصه :

(وتحسبهم أيقاظ وهم رقود) إشارة إلى أنهم مع الخلق بأبدانهم ، ومع الحق بأرواحهم . وقال ابن عطاء : هم مقيمون في الحضرة كالنومى ، لا علم لهم بزمان ولا مكان ، أحياء موتى ، صرعى مفييقون ، نومى منتبهون (٣) ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ أي ننقلهم من عالم إلى عالم ، وقال ابن عطاء : نقلبهم في حالتي القبض والبسط ، والجمع والفرق . وقال آخر : نقلبهم بين الفناء والبقاء

---

(١) تفسير الألوسي ١٥ / ٢٢٤ وما بعدها

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٧٠

(٣) روح المعاني للألوسي ١٥ / ٢٥٩

والكشف . والاحتجاب والاستتار . وقيل : في الآية إشارة إلى أنهم في التسليم كالميت في يد الغاسل .(١)

تحقيق ونقد هذه الأقوال :

ظاهر الآية الكريمة يخبرعن تقليب الفتية ذات اليمين وذات الشمال ، ولم يتطرق إلى كيفية ، أو عدد ، أو تفاصيل أخرى بشأن هذا الأمر . فمن أين أتى هؤلاء بما قالوا ؟ وعلى أي شيء اعتمدوا ؟

والحقيقة أن الصواب جانبهم فيما ذكروا ، ولو أنهم اقتصروا في تفسير الآية على ما ظهر من معناها ، وما تحتمله اللغة العربية ، لكان خيرا لهم وأقوم ، ولأراحوا أنفسهم من عناء كبير .

والأولى في مثل هذه الأمور : أن نقف حيث وقف القرآن الكريم ، ولا نخوض في أمور تحتمل الكذب أكثر ما تحتمل الصدق ، ونلتزم بدلالات ظاهر النص القرآني ونقف عنده ما أمكن ، ولا نحمل اللفظ القرآني ما لا يحتمل .

وأما قول الألوسي أن في قوله تعالى : وتحسبهم أيقاظا وهم رقود إشارة إلى أنهم مع الخلق بأبدانهم ، ومع الحق بأرواحهم . أوأنهم مقيمون في الحضرة كالنومى ، لا علم لهم بزمان ولا مكان ، أحياء موتى ، صرعى مفييقون ، نومى منتبهون ؛ وما ساقه من كلام في قوله تعالى : ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ فهو من التفسير الإشاري ويعتبرمن الدخيل المرفوض ؛ لأن فيه تشويشا على المعنى الظاهر المتبادر من نص الآية الكريمة .

---

(١) المرجع السابق . نفس الموضع .

المبحث السادس

الدخيل في اسم الكلب وصفته

حكى الخازن في تفسيره ـــ في اسم الكلب وصفته ما يلي ـ

قال ابن عباس : اسم الكلب قطمير . وعن علي اسمه : ريان . وقال الأوزاعي : يثور . وقال السدي : يور وقال كعب: صهبا .

قال خالد بن معدان : ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهب ، وحمار بلعام . وقال ابن عباس أيضا : كان كلبا أغر، ويروى أنه فوق القلطي ، ودون الكردي . والقلط : كلب صيني . وقال مقاتل : كان أصفر . وقال القرظي : كانت شدة صفرته تضرب إلى الحمرة ، وقال الكلبي : لونه كالحليج ، وقيل : لون الحجر . (١)

وقال كعب الأحبار : مروا بكلب ، فتبعهم ، فطردوه ، فقال لهم الكلب : يا قوم ، ما تريدون مني ، لا تخشوا جانبي ، أنا أحب أحباب الله، فناموا حتى أحرسكم ! وقال ابن عباس : هربوا ليلا من (دقيانوس) وكانوا سبعة ، فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ، وتبعه كلبهم . وعن عبد عمير قال : كان كلب صيدهم(٢)

وقال البغوي : أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب . وروي عن ابن جريج أنه كان أسدا ، وسمي الأسد كلبا فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لهب ، فقال : " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " (٣) فافترسه أسد . والأول المعروف.

---

(١) لباب التأويل للخازن ٤/ ٢٠٥

(٢) تفسير البغوي ٣ / ١٥٤

(٣) المرجع السابق ، نفس الموضع . والحديث صححه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٩ ، ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤/ ٣٩

قال السدي : كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم ، وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها ، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها .(١) وحكى الخازن هذا القول في تفسير أيضا (٢)

وجاء في تفسير الألوسي : " وكلبهم " الظاهر أنه الحيوان المعروف النباح . وله أسماء كثيرة ، أفرد لها الجلال السيوطي رسالة.

واختُلف في لونه ؛ فأخرج ابن أبي حاتم ، من طريق سفيان ، قال: قال لي رجل بالكوفة ــ يقال له عبيد وكان لا يتهم بكذب ــ رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر، كأنه كساء انبجاني . وأخرج عن كثير النواء قال : كان الكلب أصفر ، وقيل : كان أنمر . وروي ذلك عن ابن عباس وقيل غير ذلك . وكما اختلف في لونه اختلف كذلك في اسمه فأخرج ابن أبي حاتم ، عن الحسن : أنه قطمير . وأخرج عن مجاهد أنه قطمورا . وقيل : ريان . وقيل : ثور وقيل غير ذلك .

وهو في الكبر على ما روي عن ابن عباس فوق القلطي ودون الكردي . وأخرج ابن أبي حاتم عن عبيد أنه قال : رأيته صغيرا زينيا . قال الجلال السيوطي : يعني صينيا .

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال : قلت لرجل من أهل العلم : زعموا أن كلبهم كان أسدا . فقال : لعمر الله ما كان أسدا، ولكنه كان كلبا أحمر ، خرجوا به من بيوتهم ، يقال له قطمورا .

وأبعد من هذا ، زعْم من ذهب إلى أنه رجل طباخ لهم تبعهم . قال الطبري : كان إنسانا من الناس طباخا لهم تبعهم (٣) أو أحدهم ، قعد عند الباب طليعة لهم . نعم ، حكى أبو عمرو الزاهدي ، غلام ثعلب ، أنه قريء :(وكالؤهم) بهمزة مضمومة بدل الباء ، وألف بعد الكاف ، من كلأ إذا حفظ . ولا يبعد فيه أن يراد

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ١٥٤

(٢) لباب اتأويل للخازن ٤/ ٢٠٥

(٣) تفسير الطبري ١٥ / ٢١٤

الرجل الربيئة ؛ لكن ظاهر القراءة المتواترة يقتضي إرادةُ الكلب المعروف . وقيل في هذه القراءة إنها تفسير ، أو تحريف . وقرأ جعفر الصادق ـ رضي الله تعالى عنه ـ (وكالبهم) بباء موحدة وزنة اسم الفاعل ؛ والمراد صاحب كلبهم ، كما تقول : (لابن) و (تامر) أي صاحب لبن وتمر .

وجاء في شأن كلبهم أنه يدخل الجنة يوم القيامة ؛ فعن خالد بن معدان : ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف ، وحمار بلعام . ورأيت في بعض الكتب : أن ناقة صالح ، وكبش إسماعيل أيضا في الجنة . ورأيت أيضا أن سائر الحيوانات المستحسنة في الدنيا ، كالظباء ، والطواويس ، وما ينتفع به المؤمن ، كالغنم ، تدخل الجنة ، على كيفية تليق بذلك المكان ، وتلك النشأة ، وليس فيما ذُكر خبر يُعول عليه فيما أعلم . نعم ، في الجنة حيوانات مخلوقة فيها ، وفي خبر يُفهم من كلام الترمذي صحته التصريح بالخيل فيها ، والله تعالى أعلم .

وقد اشتهر القول بدخول هذا الكلب الجنة ؛ حتى أن بعض الشيعة يسمون أبناءهم بكلب علي ، ويؤمل من سمى بذلك النجاة ، بالقياس الأولوي على ما ذكر . وينشد :

فتية الكهف نجا كلبهم كيف لا ينجو غدا كلب علي

قال الألوسي : والظاهر : أنه نام كما ناموا . لكن أخرج ابن أبي حاتم ، عن عبد الله بن حميد المكي ، أنه جُعل رزقه في لحس ذراعيه. فإنه كالظاهر أنه لم يستغرق نومه ، كما استغرق نومهم . (١)

وقيل أشير بالآية إلى أن كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الأعمال. وقيل : يمكن أن يراد أن نفوسهم صارت بحيث تطيعهم جميع الأحوال، وتحرسهم عما يضرهم . (٢)

(١) روح المعاني ١٥/ ٢٢٥

(٢) المرجع السلبق ، ١٥ / ٢٥٩

قال ابن كثير : " وقد قيل : إنه كان كلب صيد لأحدهم ، وهو الأشبه . وقيل: كلب طباخ الملك ، وقد كان وافقهم على الدين ، فصحبه كلبه ، فالله أعلم. (١)

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي : حدثنا صدقة بن عمرو الغساني، حدثنا عباد المنقري ، سمعت الحسن البصري يقول : كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام: جرير ، واسم هدهد سليمان : عنفز ، واسم كلب أصحاب الكهف : قطمير، واسم عجل بني إسرائيل الذي عبدوه : بهموت . وهبط آدم عليه السلام بالهند، وحواء بجدة ، وإبليس بدست بيسان ، والحية بأصبهان . وقد تقدم عن شعيب الجبائي أنه سمى الكلب حمران . " (٢)

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٨٠

(٢) المرجع السابق ، ٣ / ٨١

نقد الأقوال السابقة وبيان أنها من الدخيل :

ليس هناك في الواقع حاجة حيقية إلى تعيين مثل هذا الأمر ، أو البحث فيه ؛ إذ لا يتعلق به فائدة تذكر . فأي فائدة تعود على المسلم أن يعرف اسم الكلب ، أو لونه ؟ . وهو أمر لا ينبني عليه عمل ، ولا يترتب عيه مصلحة، ولا يزيد العلم بعلمه ، ولا ينقص بنقصانه ؛ فهو مما تشملُه العبارة الماثورة : (علم لا ينفع ، وجهل لا يضر)

والأولى أن نرفض مثل هذه الأقوال المتضاربة وأن نصم عنها آذاننا ، فهي لا تزيد الفكر إلا خيالا ، ولا تزيد العقل إلا خبالا . ونقتصر على ما ورد فيه من كتاب الله رب العالمين ، من أن أهل الكهف كان يصحبهم كلب . ولا يضر بعد ذلك أ كان لأحدهم ، أو ليس لأحد منهم ، إنما تبعهم . كما لا يجوز أن نقبل الرواية التي رُويت عن كعب الأحبار ، أنهم مروا بكلب ، فتبعهم، فطردوه ، ففعل ذلك مرارا، فقال لهم الكلب : يا قوم، ما تريدون مني ، لا تخشوا جانبي ...... الخ فهو كلام يحتاج إلى ثبوت صحة ، ولو كان قد ثبت لتواترت به الأخبار ، ولاشتهر نقله . أما والأمر غير ذلك، فلا ينبغي اعتباره ، أو الالتفات إليه ، أو مجرد ذكره وتدوينه في تفسير هذه الآية الكريمة . وأما القول بأنه كان أسدا . فهو خلاف الظاهر ، ولا ضرورة إليه .

ولا ندري ما الذي غر الأئمة الكرام حتى يشغلوا أنفسهم بمثل هذه السفاسف ، لدرجة أن يفرد الإمام السيوطي لأسماء كلب أصحاب الكهف رسالة مستقلة !

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال المختلفة في اسم الكلب ـ : واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها ، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها ، ولا حاجة إليها . بل هي مما يُنهى عنه ، فإن مستندها رجم بالغيب " (١)

---

(١) ابن كثير ٣ / ٨١

وقال صاحب كتاب: (فتح البيان) بعد أن ذكر تعدد الأقوال وتضاربها في لون كلب أصحاب الكهف : ولا أدري أي تعلق لهذا التدقيق والتحقيق بتفسير الكتاب العزيز ؟ وما الذي حملهم على هذا الفضول الذي لا مستند له في السمع ولا في العقل ؟ (١)

وأما قول الألوسي من أنه أشير بالآية إلى أن كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الأعمال. أو أنه يمكن أن يراد أن نفوسهم صارت بحيث تطيعهم جميع الأحوال، وتحرسهم عما يضرهم ؛ فهو من التفسير الإشاري ، ويعتبرمن الدخيل المرفوض ؛ لأن فيه تشويشا على المعنى الظاهر المتبادر من نص الآية الكريمة .

---

(١) ٨ / ٢٥

المبحث السابع

الدخيل في تفسير قوله تعالى :

﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾

قال الخازن في تفسيره : اختلفوا في أن الرعب كان لماذا ؟ قيل : من وحشة المكان ، وقال الكلبي : لأن أعينهم كانت مفتحة ، كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام ، وقيل : لكثرة شعورهم ، وطول أظفارهم ، ولتقبلهم من غير حس ولا شعور . وقيل : إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد.

و قال البغوي قريبا من هذا الكلام ، وروي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : غزونا مع معاوية، نحو الروم ، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف . فقال معاوية : لو كُشف لنا عن هؤلاء ، فنظرنا إليهم . فقال ابن عباس : لقد مُنع ذلك من هو خير منك . فقال : لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا . فبعث معاوية ناسا ، فقال : اذهبوا فانظروا ، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم .(١)

وجاء في تفسير الألوسي : وسبب ما ذُكر أن الله عز وجل ألقى عليهم من الهيبة والجلال ما ألقى . وقيل : سببه طول شعورهم وأظفارهم ، وصفرة وجوههم ، وتغير أطمارهم . وقيل : إظلام المكان وإيحاشه . وتعقب ذلك أبو حيان بأن القولين ليسا بشيء ، لأنهم لو كانوا بتلك الصفة ، لأنكروا أحوالهم ، ولم يقولوا : ﴿ لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ ولأن الذي بُعث إلى المدينة لم ينكر إلا المعالم والبناء ، لا حال نفسه، ولأنهم بحالة حسنة ، بحيث لا يفرق الرائي بينهم وبين الأيقاظ . وهم في فجوة موصوفة بما مر ، فكيف يكون مكانهم موحشا ؟ وأجيب بأنهم لا يبعد عدم تيقظهم لحالهم ، فإن القائم من النوم قد يذهل عن كثير من أموره ويدعي استمرار

---

(١) لباب اتأويل للخازن ٤/ ٢٠٥ ؛ تفسير البغوي ٣ / ١٥٥

الغفلة في الرسول وإنكاره للمعالم لا ينافي إنكار الناس لحاله وكونه على حالة منكرة لم يتنبه لها . وأيضا يجوز أنهم لم يطلعوا على حالهم ابتداء ، فقالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ثم تنبهوا له فقالوا : ربكم أعلم بما لبثتم . وأيضا يجوز أن يكون هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك الحال إنما حدث بعد انتباههم الذي بعثوا فيه رسولهم إلى المدينة ، وعلى هذا لا يضر عدم إنكار الرسول حال نفسه لأنه لم يحدث له ما ينكر بعد . وإيحاش المكان يجوز أن يكون حدث بعد علي هذا أيضا وذلك بتغيره بمرور الزمان . وأخرج ابن أبي حاتم ، عن شهر بن حوشب ، قال : كان لي صاحب ماض ، شديد النفس ، فمر بجانب الكهف فقال : لا أنتهي حتى أنظر إليهم . فقيل له : لا تفعل ، أما تقرأ :﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ...﴾ فأبى إلا أن ينظر ، فأشرف عليهم ، فابيضت عيناه، وتغير شعره ، وكان يخبر الناس بأن عدتهم سبعة .

وربما يُستأنس بمثل هذه الأخبار لوجودهم اليوم ، بل لبقائهم على تلك الحالة التي لا يستطاع معها الوقوف على أحوالهم . وفي ذلك خلاف ؛ فحكى السهيلي عن قوم القول به . وعن ابن عباس إنكاره ؛ فقد أخرج عبد الرزاق ، وابن أبي حاتم ، عن عكرمة أن ابن عباس غزا مع حبيب بن مسلمة ؛ فمروا بالكهف ، فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أهل الكهف . فقال ابن عباس : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

والذي يميل القلب إليه عدم وجودهم اليوم . وإنهم إن كانوا موجودين ، فليسوا على تلك الحالة التي أشار الله تعالى إليها . وأن الخطاب الذي في الآية لغير معين . وأن المراد من الآية الإخبار عن أنهم بتلك الحالة في ذلك الوقت . (١)

---

(١) روح المعاني ١٥/ ٢٢٧

تحقيق ونقد هذه الأقوال :

لقد اجتهد المفسرون ــ رحمهم الله ــ في تفسير أسباب الرعب الذي أحاط بأصحاب الكهف ، وذهبوا في ذلك مذهبا بعيدا بما نقلوه من أقوال تفتقد الثقة والإثبات لقبولها . في حين أن الله ــ جل شأنه ــ لم يرد في هذا المقام تفصيلا ، ولو أراده لذكره ، أو أطلع عليه نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء أسلوب القرآن الكريم هنا مجملا مبهما ، لتذهب النفس في تصور حال أصحاب الكهف كل مذهب . وهذا قمة الروعة في أسلوب القرآن الكريم .

كما أنه لم يثبت من خبر صحيح ، أو رواية موثوقة أن أحدا اطلع عليهم وهم في ذلك المكان ، وعلى هذا الحال ، فمن أين جاء الخازن والبغوي، وغيرهم بما حكوه ونقلوه من أن سبب الرعب ــ على فرض اطلاع أحد عليهم ــ وحشة المكان ، أولأن أعينهم كانت مفتحة ، كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام ، أولكثرة شعورهم ، وطول أظفارهم ، ، وصفرة وجوههم ، وتغير أطمارهم ، ولتقبلهم من غير حس ولا شعور ؟ .

قال الطبري ــ رحمه الله ــــ : وقوله : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا﴾ أي لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم ، لأدبرت عنهم هاربا منهم ، فارا ، ولملئت منهم رعبا . يقول : ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعا : لما كان الله ألبسهم من الهيبة ؛ كي لا يصل إليهم واصل ، ولا تلمسهم يد لامس ، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله ، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه ، في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة ، لمن شاء من خلقه ، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ؛ ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها . (١)

وعبارة ابن كثير قريبة جدا من عبارة الطبري في هذا الموضع (٢)

---

(١) تفسير الطبري ١٥ / ٢١٥

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٧

وقال الشوكاني في فتح القدير : إن قول من قال إن سبب الرعب : طول أظفارهم وشعورهم ، وعظم أجرامهم . يدفعه قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئا ، ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة .(١)

ونقل الإمام القرطبي عن ابن عطية : والصحيح في أمرهم : أن الله عزوجل حفظ لهم الحالة التي ماتوا عليها ؛ لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية ؛ فلم يبل لهم ثوب ، ولم تتغير لهم صفة ، ولم يُنكر الناهض إلى المدينة ـــ الذي بعثوه ـــ إلا معالم الأرض والبناء . ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت .(٢)

وقال الألوسي : الذي ينبغي أن يعول عليه أن السبب في ذلك ما ألقى الله تعالى عليهم من الهيبة وهم في كهفهم . وأن شعورهم وأظفارهم إن كانت قد طالت ، فهي لم تطل إلى حد ينكره من يراه . ثم قال الألوسي ــ رحمه الله ــ : واختار بعض المفسرين أن الله تعالى لم يغير حالهم وهيئتهم أصلا ؛ ليكون ذلك آية بينة .(٣)

ويقول الدكتور محمد أبو زهرة : لوليت منهم فرارا ، أي لأثار الاستغراب في نفسك ما يُبعدك عن أحياء ليس فيهم من مظاهر الحياة إلا أعينا مفتوحة ، بل فيهم رهبة رهيبة . وما لا يألفه الإنسان يفر منه فرارا والخلاصة : أنهم لو علموا حالهم ، واطلعوا على وضعهم ، لولوا هاربين فارين منهم، يحسبون أنهم ليسوا أناسي . (٤)

---

(١) فتح القدير ٣/ ٣٤٣ بتصرف .
(٢) تفسير القرطبي ١٠ / ٣٧٣
(٣) روح المعاني ١٥ / ٢٢٧
(٤) زهرة التفاسير ٩/ ٤٥٠٩

المبحث الثامن

الدخيل في تحديد عدد أصحاب الكهف

يقول ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فحكى ــ سبحانه ــ ثلاثة أقوال ، فدل على أنه لا قائل برابع ، ولما ضعف القولين الأولين ﴿رجما بالغيب﴾ أي : قول بلا علم كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه ، فإنه لا يكاد يصيب ، وإن أصاب فبلا قصد . ثم حكى الثالث وسكت عليه ، أو قرره بقوله ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ فدل على صحته ، وأنه هو الواقع في نفس الأمر .

وقوله : ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ﴾ إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام ، رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم ، لكن إذا طلعنا على أمر قلنا به ، وإلا وقفنا . ([1])

وقال قتادة في قوله : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين ﴾ الآية هذا قول أهل الكتاب ، وقد رده الله تعالى بقوله : ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ قال : وفي قراءة عبد الله : وقالوا ولبثوا ، يعني أنه قاله الناس . وهكذا قال قتادة ومطرف بن عبد الله . وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر؛ فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة من غير تسع ، يعنون بالشمسية . ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال : وازدادوا تسعا . والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله تعالى ، لا حكاية عنهم . وهذا اختيار ابن جرير ــ رحمه الله ــ ورواية قتادة قراءة ابن

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٧٩

مسعود منقطعة ، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور، فلا يحتج بها ، والله أعلم (١)

يقول صاحب الظلال : نسمع الجدل حول أصحاب الكهف ، على عادة الناس ، يتناقلون الروايات والأخبار ، ويزيدون فيها وينقصون ، ويضيفون إليها من خيالهم ، جيلا بعد جيل ، حتى تتضخم وتتحول ، وتكثر الأقاويل حول الخبر الواحد ، أو الحادث الواحد كلما مرت القرون:

﴿ سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون:خمسة سادسهم كلبهم - رجما بالغيب ، ويقولون:سبعة وثامنهم كلبهم . قل:ربي أعلم بعدتهم . ما يعلمهم إلا قليل . فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ، ولا تستفت فيهم منهم أحدا . ﴾

" فهذا الجدل حول عدد الفتية لا طائل وراءه . وإنه ليستوي أن يكونوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة ، أو أكثر . وأمرهم موكول إلى الله ، وعلمهم عند الله . وعند القليلين الذين تثبتوا من الحادث عند وقوعه أو من روايته الصحيحة . فلا ضرورة إذن للجدل الطويل حول عددهم . والعبرة في أمرهم حاصلة بالقليل وبالكثير . لذلك يوجه القرآن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ترك الجدل في هذه القضية ، وإلى عدم استفتاء أحد من المتجادلين في شأنهم . تمشيا مع منهج الإسلام في صيانة الطاقة العقلية أن تبدد في غير ما يفيد . وفي ألا يقفو المسلم ما ليس له به علم وثيق . وهذا الحادث الذي طواه الزمن هو من الغيب الموكول إلى علم الله ، فليترك إلى علم الله . " (٢)

وقال الشيخ الشعراوي : رحمه الله في تفسيره :

" لم يبين لنا الحق سبحانه عدد أصحاب الكهف الحقيقي ، وأمرنا أن نترك هذا لعلمه سبحانه ، ولا نبحث في أمر لاطائل منه ، ولا فائدة من ورائه . فالمهم أن يثبت أصل القصة ، وهو : الفتية الأشداء في دينهم ، والذين فروا به وضحوا في سبيله ، حتى

---

(١) المرجع السابق ٣/ ٨١

(٢) في ظلال القرآن ٤ / ٢٢٦٥

لا يفتنهم أهل الكفر والطغيان ، وقد لجأوا إلى الكهف ، ففعل الله بهم ما فعل ، وجعلهم آية ، وعبرة، ومثلا ، وقدوة . اما فرعيات القصة ، فهي أمور ثانوية لاتقدم ولا تؤخر ؛ لذلك قال الله تعالى بعدها :﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ أي لا تجادل في أمرهم .

ثم يأتي فضول الناس ليسألوا عن زمن القصة ، ومكاتها ، وعن أشخاصها ، وعددهم ، وأسماءهم ... حتى كلبهم تكلموا في اسمه . وهذه كلها أمور ثانوية ، لا تنفع في القصة ولا تضر .

ثم قال : ويجب هنا أن نعلم أن القصص القرآني يبهم أبطاله لحكمة ؛ فلو تأملت إبهام الأشخاص في قصة أهل الكهف لوجدت عين البيان لأصل القصة ، لأن القرآن الكريم لو حدد مكانهم لقيل : إن هذا الحدث خاص بهذا المكان ، لسبب من الأسباب . ولو حدد زمانهم لقيل : إن زمانهم كان من الممكن أن يتأتى فيه مثل هذا العمل . ولو حدد الأشخاص وعينهم لقالوا : هؤلاء أشخاص لايتكررون مرة أخرى ؛ لذلك أبهمهم الله تعالى ، لتتحقق الفائدة المرجوة من القصة ، أبهمهم زمانا، وأبهمهم مكانا ، وأبهمهم عددا ، وأبهمهم أشخاصا ، ليشيع خبرهم بهذا الوصف في الدنيا كلها ، لا يرتبط بزمان ، ولا مكان ، ولا أشخاص . فحمل راية الحق والقيام به أمر واجب ، وشائع في الزمان والمكان والأشخاص .. وهذا هو عين البيان للقصة "(١)

* * * * * * * * * * * * * * * * *

(١) تفسير الشعراوي ١٤ / ٨٨٦٦وما بعدها بتصرف يسير

خلاصـــة البحث ونتائجه

في نهاية رحلتي مع هذا البحث أستطيع ــ بفضل الله تعالى ــ أن أخرج منه بهذه الخلاصة والتي تتضمن أهم النتائج . وأذكرها محددة في النقاط التالية :

- القرآن الكريم هو المصدر الوحيد المستيقن في الأخبار، والمعلومات ، والقصص . وفيه غنية عن كل ما عداه من الأخبار السابقة أو اللاحقة ، ولا يجوز تجاوزه إلى الأخبار الضعيفة ، والروايات السقيمة .القرآن الكريم يتَبع المنهج الإجمالي في عرضه لقصص الأنبياء والسابقين ، ويقتصر على مواضع العظة ، ولا يتطرق إلى تفصيلات الحوادث ، وجزئيات المسائل ، إلا بالقدر الذي يخدم الغرض العام والهدف الأساسي .
- الخوض في الدخيل يبعد القارئ والدارس عن الجو القرآني ، ويُخرج القرآن الكريم عن هدفه الأصيل ، ومقصده السامي الذي أنزل من أجله .
- الدخيل له خطره الذي لا يستهان به ، على العقيدة الإسلامية ، وعلى الفرد والمجتمع المسلم ، وعلى التراث العلمي للأمة ، كما أنه يضيع الوقت والجهد ، ويشغل العقلية الإسلامية بما لا خير فيه .
- الدخيل سبب أساسي في انتشار البدع ، وذيوع الخرافات بين الأمة
- لم يسلم تفسير من التفاسير القديمة أو الحديثة من الوقوع في هاوية الدخيل ، ولكن تتفاوت النسبة بين مقل ومكثر .
- الكلام عن الدخيل في كتب المفسرين لا يعني انتقاصهم ، ولا يمنعنا من الاستفادة من عقولهم وعلومهم .
- المفسرون المعاصرون أقل نسبياً في الأخذ بالإسرائيليات والدخيل من المفسرين القدامى ، ولكل عالم زلة ، ولكل جواد كبوة وسبحان من له الكمال .

توصيـــات البحث

- البقاء في جو النص القرآني في عرضه لقصص الأنبياء والسابقين وعدم الخروج عنه إلا إلى الأحاديث الصحيحة ، والاكتفاء بما ورد في الكتاب والسنة.
- عدم قبول أي خبر ، أو بيان من الإسرائيليات وغيرها من الروايات الخرافية والأسطورية ، ورفض أي تفصيلات لا تعتمد على آية ، أو حديث صحيح ، ووجوب السكوت على ما سكت عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة .
- عم الاغترار بمتعة القصة وإثارتها ، والتيقظ التام عند نقل كلام المفسرين فيما يتعلق بها ، وعرض رواياتهم ونقولهم على الكتاب والسنة ، وعلى الأصول التي اتفق عليها علماء الأمة .
- عدم الاعتماد على المنقول من كتب التفسير بدون الاجتهاد في التمييز بين الصحيح والسقيم .
- لا ينبغي أن يكون وجود بعض الدخيل في كتب المفسرين سببا للتطاول عليهم أوانتقاصهم ، كما لا يمنعنا ذلك من الاستفادة من عقولهم وعلومهم .
- الالتزام بدلالات ظاهر النص والوقوف عنده ما أمكن ، وعم تحميل اللفظ القرآني ما لا يحتمل .
- ضرورة وضع الخطط المنهجية لتنقية كتب التفسير ، وتطهيرها من كل ما دخل فيها من الأقوال والروايات التي لا نصيب لها من الصحة ؛ حتى يستطيع الناظر في كتب التفسير أن يفهم كلام الله سبحانه فهما صحيحا ، وبعيدا عن أكاذيب الرواة وخيالات القصاصين .
- الاستفادة من قصص القرآن الكريم في الواقع المعاصر ، والتركيز على الدروس الإيمانية ، والدعوية ، المستخرجة من تلك القصص ؛ باعتبارها أهم ما يحتاجه الدعاة والمصلحون في هذا الزمان .

* *

فهرس المراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : التفسير والدراسات القرآنية :

أسباب الخطأ في التفسير : د/ طاهر محمود محمد يعقوب . دار ابن الجوزي ، ط: الأولى ١٤٢٥هـ

أسباب النزول : الواحدى . أبو الحسن ، على بن أحمد الواحدى ، النيسابورى . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ط : الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م .

الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ، دوافعها ودفعها .

د/ محمد حسين الذهبي . ط : الثانية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر .

الإسرائيليات في التفسير والحديث : د/ محمد حسين الذهبي . مكتبة وهبه ، الطبعة الرابعة ، ١٤١١هـ ١٩٩٠ م .

الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير : د/ رمزي نعناعة . دار القلم دمشق ، دار الضياء ، بيروت ، ط : الأولى ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .

التفسير الواضح : د/ محمد محمود حجازي . ط: السادسة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . دار التراث العربي ، القاهرة ، مصر .

الجامع لأحكام القرآن : القرطبى ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي . تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني . دار الشعب ، القاهرة ط: الثانية . ١٣٧٢هـ .

الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : السيوطى ، الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن بن الكمال . دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ .

العواصم من الفتن في سورة الكهف : عبد الحميد محمود طهماز . دار القلم ، دمشق ، ط: الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

المفردات فى غريب القرآن : الراغب الأصفهانى ، أبو القاسم ، الحسين بن محمد . تحقيق : محمد السيد كيلانى . دار المعرفة ، بيروت ،
بدع التفاسير : أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسيني الإدريسي . دار الرشاد ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط: الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
تحذير الخواص من أكاذيب القصاص : الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد الصباغ . المكتب الإسلامي بيروت ، ط: الثانية ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
تفسير البغوي (معالم التنزيل) أبو محمد ، الحسين بن مسعود البغوي " ٥١٦ هـ " تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون . دار طيبة
تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور .الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.
تفسير الشعراوي ، الشيخ / محمد متولي الشعراوي . ط : أخبار اليوم بدون .
تفسير القرآن العظيم : الشهير بتفسير ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، الدمشقي . دار الفكر ، بيروت : ١٤٠١ هـ ١٩٨٢ .
تفسير النسفى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) الإمام أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود ، النسفى . دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط : الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ .تفسير سورة الكهف : الشيخ محمد بن صالح العثيمين . دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط: الأولى ، ١٤٢٣ هـ .
تفسير مقاتل بن سليمان : دراسة وتحقيق د / عبد الله شحاته . دار إحياء التراث العربي ، ط: الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير . دار الريان ، القاهرة ، مصر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
دقائق التفسير " الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية " تحقيق : د/ محمد السيد الجليند . مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت . ط : الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي أبوالفضل . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط: الثالثة ١٤٠٤هـ .

زهرة التفاسير : محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، بدون .

فتح البيان في مقاصد القرآن : أبو الطيب ، صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي ، البخاري . المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط: الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، راجعه وعلق عليه الشيخ / هشام البخاربي ، الشيخ خضر عكازي . المكتية العصرية ، بيروت لبنان ، ط: الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

في رحاب التفسير : عبد الحميد كشك . المكتب المصري الحديث ، القاهرة . بدون تاريخ .

فى ظلال القرآن : سيد قطب . دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط: الخامسة عشر ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

" لباب التأويل في معاني التنزيل " الشهير بـ : تفسير الخازن . علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم ، البغدادي ، الشهير بالخازن ت: ٧٢٥ هـ . دار مصطفى الحلبي ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥ م .

مباحث في التفسير الموضوعي : د. مصطفى مسلم . دار القلم ، دمشق ط : الثانية ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

معَ قصص السابقين في القرآن الكريم" الجزء الثاني " د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي . دار القلم ، دمشق ، ط: الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

مفاتيح الغيب : الفخر الرازى ، محمد بن عمر بن الحسين الرازى . دار الغد العربى ، القاهرة ، مصر، ط : الأولى .

مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم : د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي . دار القلم ، دمشق ، ط: الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤ م .

نظم الدرر في تناسق الآيات والسور : برهان الدين ، أبو الحسن ، إبراهيم بن عمر البقاعي . دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ط: الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

ثالثا : كتب الحديث النبوى الشريف :

سنن أبى داود : الإمام أبو داود ، سليمان بن الأشعث الأزدى . دار الفكر بيروت ، لبنان .

سنن الترمذى : أبو عيسى ، محمد بن عيسى ، تحقيق أحمد شاكر . دار مصطفى الحلبى ، القاهرة مصر ط: الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

صحيح البخارى : أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل البخارى . دار إحياء الكتب الحديثة ، عيسى الحلبى . القاهرة ، مصر، بدون تاريخ

صحيح مسلم : أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، تحقيق : محمد عبد الباقى . دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، مصر .

رابعا : معاجم الغة :

المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية . الطبعة الأولى

لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : دار صادر : بيروت ، لبنان ، ط: الأولى .

مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . تحقيق : محمود خاطر . مكتبة لبنان للنشر ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .